نفسية بشار وتأثيرها في هجائه

بقلم ايليا الحاوي

يمثل الهجاء في شعر بشار مرحلة جديدة في تطور الشعر العربي عامة والهجائي منه بخاصة . ذلك ان العصبية القبلية اوشكت ان تتعفى في العصر العباسي ولم يعد الهجاء تناقضا بين الشعراء على الايام القديمة كما راينا في الشعر الاموي ، بل ظهر واقع جديد ، واقع التنازع الاجتماعي والسياسي بين العرب والموالي ، مما طفا على سائر مظاهر التنافس .

ولقد ظهر هذا التنازع الجديد في شعر بشار لانه كان مولى من موالي العرب ، ينظرون اليه باحتقار ، بعد ان كان سيدا من اسياد الفرس . ولقد نشأ بشار وهو اعمى في بيت فاقة واضطراب . وظهر فيه ميل الى الهجاء منذ الصغر، حتى قيل ان الناس كانوا يجيئون الى ابيه، فيشكونه اليه، فيضربه ضربا مبرحا : فكانت امه تقول له لما تضرب هذا الغلام الصغير الضرير ، اما ترحمه ؟؟ فيقول بلى اني ارحمه ، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الي . فسمعه بشار فقال : ان الذي يشكونه اليك مني هو قولي الشعر، واني ان اتممت عليه اغنيتك وسائر اهلي . فاذا شكوني اليك فقل لهم ، اليس الله عز وجل يقول «ليس على الاعمى من حرج » ، فلما اعادوا الشكوى قال لهم ذلك فانصرفوا وهم يقولون « فقه برد اغيظ من شعر بشار » .

وهذه الرواية بالرغم من الغرابة التي كساها بها الرواة العرب ، تدلنا على ان الشاعر كان يعامل بقسوة منذ صغره، فابوه لا يشفق من ضربه ضربا مبرحا والناس يلهون به ويعبثون ، حتى يضطر ان يدافع عن نفسه بهجائهم . وقد كان من الطبيعي ان يعبث بشار في تلك البيئة المنحلة لعماه لانهم كانوا يرون فيه وسيلة للتندر والهزء ، مما اذكى فيه شعورا بالنقص ، وولد لديه ميلا الى الهجاء ، لان الهجاء كاللعنة والشتيمة وسيلة لاظهار السخط ، والدفاع عن النفس ازاء القوم الذين لا ينفكون يحتقرونه .

ولئن كان ثمة عميان ، ذوو مضبر شائع يقبلون الاشياء باستسلام وصمت ، فقد كان في طبيعة بشار حس مبرم ، حاد ، تولد لديه من فطنته المبكرة المتفوقة . وقد بدت تلك الفطنة في الفتوى التي لقنها لابيه ، ليفتي بها من يشكونه اليه . ولسوف تلبث تلك الفطنة مصحوبة دائما بشعور الانفة والكرامة ، حتى انه ليثور باقل الاسباب واتفهها ، ويتفجر حنقا وغيظا على الذين يحتقرونه ، ويخفضون من قدره .

ولقد تضاعف شعور بشار بالمنكر ، ليس فقط من عماه ، بل من القباحة التي كانت تربن على سائر ملامح وجهه . فالاصمعي يصفه بقوله : « كان بشار ضخما عظيم الخلق والوجه ، مجدورا ، طويلا ، جاحظ العينين ، قد تغشاهما لحم احمر » . لا شك ان الشاعر لم يكن يبصر قبح منظره ، كما انه لم يكن يبصر جمال الاخرين ، شان ابن الرومي ، فيما بعد ، الا ان الناس في حمقهم وقساوة نفوسهم ، كانوا ينبهونه الى هذه العورات المنكرة التي وسمته بها الطبيعة دون ان يكون له ذنب فيها . من ذلك ان احد الادباء دخل عليه وهو نائم في دهليزه كانه الجاموس ، فقال يا ابا معاذ من القائل :

ان في بردي جسما ناحلا   لو توكأت عليه لانهدم

فقال انا — قال من القائل ايضا :

في حلتي جسم فتى ناحل   لو هبت الريح به طاحا

قال انا ، قال فما حملك على هذا الكذب ، والله اني اني ارى لو ان الله بعث الرياح التي اهلكت الامم الخالية لما حركتك من موضعك .

انت ترى ان ذلك الرجل دخل على بشار ولا غاية له سوى الهزء به وممابثته وطعنه بالمنكر . وهكذا فانه وان لم يكن لديه مرآة يعكس بها وجهه في قباحته ، فان الناس كانوا يعكسون له تلك الصورة ، او بالاحرى ، لقد كانت له مرآة نفسية داخلية يعكس فيها وجهه القبيح ومصيره المنكر . لهذا غدا كثير التضجر يضيق بالناس وبنفسه كما يقول الاصمعي . ولا غرو ، فان صاحب النقص يصبح حاد الشعور ، توتره الهنة اليسيرة وتتعاظم في نفسه بعد ان يبالغ بها الوهم وتشتد بها الريبة . ولئن كان الناس الغرباء يعابثونه معابثة عارضة يمكنه ان يتجاوز عنها، فلقد كان اصحابه الاخصاء لا ينفكون يعابثونه في مجلسه ، موقظين في نفسه الحس الدائم بعدم التكافؤ والاختلال . من ذلك ان اصدقاء لبشار من اهل الكوفة كانوا على مذهبه، سالوه ان ينشدهم شيئا مما احدثه فقال :

انى دعاه الشوق فارتاحا   من بعد ما اصبح جحجاحا

حتى اتى على قوله :

في حلتي جسم فتى ناحل   لو هبت الريح به طاحا

فقالوا يا ابن الزانية ، تقول ذلك وانت كانك فيل ، عرضك اكثر من طولك . فقال قوموا عني يابني الزناء ، فاني مشغول القلب، لست انشط اليوم لمشاتمتكم . وهذه القصة اشد دلالة على القسوة التي كان يلاقيها بشار من معاصريه ، لانها لم تصدر من قوم عاديين ، بل من صحبه الذين على مذهبه» ، كما تقول الراوية .

والواقع ان الانسان لا يزهو بجماله ولا ينقبض بقبحه، الا لان الجمال يقدر في الناس ، بينما يبخس القبح . لقد كان القبح سببا في احتقار الشاعر وتقليل قدره ، واقحامه بشعور الشذوذ والهزيمة . وهكذا فان بشارا كان يعاني مايعاني سائر الناس من عزة وكرامة، وصون للنفس، ويعاني

وطاة غرائز شبيهة بغرائزهم ، اذ انه يميل الى المراة ميلا لا يرتوي ، الا ان المراة لبثت تصده وتنبذه لقبح منظره . او لم يتوله بعبدة وامامة وخشابة ، ولقد تزوجت الاوليان من دونه ولبث يتضور ابدا ، بتلك الشهوة الداعرة حينا ، والواجدة حينا اخر . ولعل استحالة المراة عليه جعلته يصور ما كان يحلم به من احلام داعرة خلال تلك القصائد التي اطلقها على السنة الناس والتي احتيل بها ، فيما بعد للغدر به وجلده حتى الموت .

ولا مجال للاطالة بذكر النوادر التي تمثل تمطشه للمراة وانما نكتفي بنادرتين ، توحيان بكيفية توافقه مع النساء واحتقارهن له ، وعبثهن به مذكيات في نفسه حسرة دائمة لعماه وشعوره بالنقص . اما النادرة الاولى ، فتظهر لنا في قصة اولئك النسوة اللواتي كنا يفدن في كل جمعة يومين الى مجلسه ، فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره . فسمع كلام امراة منهن فعلقها قلبه ، وراسلها يسالها تواصله ، فقالت لرسوله : واي معنى فيك لي ، او لك في وانت اعمى لاتراني فتعرف حسني ومقداره وانت قبيح الوجه ، فلاحظ لي فيك ؟ فليت شعري لاي شيء تطلب وصال مثلي . وجعلت تهزا به في المخاطبة ، فنقم عليها وانفذ اليها ابياتا داعرة تصور لنا ما كان في نفسه منها . ولقد دأب النقاد على الاستدلال بمراسلة تلك المراة في اظهار احتقار النساء له .

الا ان الاحتقار الحقيقي لايظهر في تلك المخاطبة بقدر ما يظهر في وفود النساء علنا على مجلس بشار ، فكانهن لا يتهيبنه ، ويعتقدن كما يعتقد سائر الناس ، انه امرؤ ناقص الرجولة ، ذو عاهة ، لاحرج من زيارته والاستماع الى شعره . هذه المعاملة لا تساق الا اللعب الخفي ، الذي لا يخشى عليهن منه . فهو ليس حريا بالحب ، او بالاحرى ، لا يمكن قط للمراة ان تتوله به نظرا لقبحه . ولقد تاكد هذا الراي في المراسلة التي انفذتها اليه تلك المراة بواسطة رسوله ، اذ عبرت عن حقيقة ما كان يشعر به اولئك النسوة نحوه . فهو لا يمكن ان يثير فيهن عاطفة الحب ، ولا يمكن ان يقدر جمالهن . وهكذا ، فان موقف تلك المراة منه ، هو رمز لموقف سائر النساء اللواتي كن ينظرن اليه نظرة استخفاف وعدم تكافؤ . فلم ير الشاعر بدا من التفاخر البذيء بتفوقه الشهواني ، معبرا بذلك عن سخطه على المراة والمجتمع .

وهنالك نادرة اخرى لا تقل عمقا في دلالتها عن النادرة السابقة . فقد عشق امراة ، فكان يبعث اليها غلامه ، وهي تتمنع ، فلما اضجرها ، عرفت زوجها ، فقال لها « اجيبيه وعديه ان يجيء الى هنا . » ففعلت ، وجاء بشار مع امراة انفذتها اليه ، فدخل وزوجها جالس وهو لا يعلم . فجعل بشار يحادثها ساعة ، ثم قال :

امامة قد وصفت لنا بحسن
وانا لا نراك فالمسينا

فاخذت يده ووضعتها في حجر زوجها ، ففزع بشار ووثب . الا ان زوجها قبض عليه وقال هممت ان افضحك فقال كفاني فديتك ما فعلت .

فالشاعر يسعى ان يسر مع النساء ، كما يسر معهن الاخرون ، لكنهن لا يبرحن ينكلن به ويهزان منه . واي مشهد اشقى من مشهد ذلك الاعمى الذي تهلل اذ واعدته امراة ، وشعر انه شبيه بسائر الناس يصبي الصبية ، كما كان يحلم ، اذا به يفاجأ بزوجها ، كانه صفع صفعا وافهم انه لا قبل له بان يكون كالاخرين . وليس سعي بشار الى تلك المراة الا رمزا لسعيه بين سائر الناس في هذه الحياة فهو يغتبط حينا ويخيل اليه انه تحرر من النقص بالنسبة اليهم ، الا انهم لا يعتمون ان يفجموه ويزوروا به ، فينقم عليهم وبدلا من ان يحظى بحبهم واعجابهم نراه يخيفهم ويرعبهم لكثر تفحشه باعراضهم . « قيل لبشار ما ادرى لم يهابك الناس مع قبح وجهك ، فقال : ليس من حسنه يهاب الاسد » . وهكذا يتحقق لنا ان المشكلة النفسية الكبرى التي كان الشاعر يعانيها كانت ابدا في تنازعه مع اهل زمانه . فهم ينظرون اليه نظرة نقص واشفاق واستهانة وهو يرى نفسه انسانا كفؤا معادلا لهم ، وفي احيان كثيرة يتوهم انه اسمى منهم .

ولعل الناظر الى شعر بشار الهجائي يتحقق له ان مشكلة العمى لم تكن وحيدة في افاضة ذلك الشعور الراغم بالنقص فهنالك ايضا مشكلة الولاء ، اذ كان العرب كما اسلفنا يحتقرون الموالي ويعيرونهم ولاءهم ويهازئونهم به . ولقد كان بشارا يربأ بنفسه ان يحتقره جلف من الاعراب ، وهو كما يقول حفيد كسرى :

رب ذي تاج كريم الجد كآل كسرى او كآل برد

فالشاعر يعتد باصله ويتسامى به حتى الاكاسرة ، وقد كان هذا الامر يضاعف من شعوره بالحسرة والندم . فالقدر قد انتزع منه نعمة الاصل التي كان قد اغدقها عليه ، ثم اخنى عليه بمصيبة القبح والعمى . وجعل الشاعر يتوهم انه لا عدل ولا حقيقة في الحياة وانه يحمل لعنة مجهولة . فاي ذنب للمرء ان يفد الى هذا العالم ، فلا يعي ذاته الا وهو مثقل بالمنكر والعار اللذين لم تقترفهما يداه . لذلك كان يرافق الشاعر شعور دائم بالظلم والقسوة . ظلم الناس ، وظلم الحياة التي اخنت عليه بميسم الضعة والمنكر وجعلته مضغة تافهة في فم غول العالم .

وبعد ، فان بشارا بخلاف الصورة التي ما برح النقاد يترسمونها له ، كان احرى ان يثير الشفقة والرحمة لانه كان يحمل في نفسه لعنة الحياة والقدر . والواقع ان هذا الشاعر المسكين ، كان يعيش في سجن دائم من نفسه تحيط به جهمة السواد من كل صوب ، يسمع بالضياء ولا يتمتع به ويذكر له الجمال ولا يراه ، يحيا وقد كف عن كل نعمة من نعم الحي . ولعل انكفاء عينيه عن النظر الى الخارج

جعله يرتد الى الداخل ، يحملق في عالمه الداخلي عن العالم الخارجي .

وفي تلك الانكفاءة الداخلية ، كانت تتراءى له صورة الاشخاص وصورة نفسه ، فلا عجب بعدئذ ، ان يكون الهجاء تعبيرا ايجابيا عن واقعه النفسي . ذلك ان الهجاء ليس سوى تجسيد للقبح والتشويه والمنكر . لقد كان هجاء بشار سخرية بالقيم التي ترسمها البشر . فهو يهزأ بما يرونه عيبا ، ويضحك مما يتقون الجهر به ، لان شكه بنفسه جعله يشك بالحياة وقيمتها ، ويقبل على تجاوزها دون ناجعة او استغراب . لقد كان ذلك ثأرا منها ، وتعويضا عن النقص الذي مني به .

وثمة كثير من النوادر التي تدلنا على ان الشاعر كان كائما يهجو الناس من خلال تصرفه ، بالاضافة الى شعره . من ذلك ان جماعة استاذنوا على بشار ، فاذن لهم والمائدة موضوعة بين يديه . فلم يدعهم الى طعامه . فلما اكل دعا بالطست ، فكشف سوءته فبال . ثم حضرت الظهر ، والعصر والمغرب ، فلم يصل . فقال له بعضهم انت استاذنا ، وقد راينا منك اشياء انكرناها . قال وما هي ؟ فقالوا :

دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا . فقال : انما اذنت لكم بالدخول كي تأكلوا ، ولو لم ارد لما اذنت لكم . ثم ماذا ؟ فقالوا دعوت بالطست فبلت ونحن حضور . فقال : انا المكفوف وانتم المامورون بغض النظر دوني . ثم ماذا ، قالوا : حضرت الظهر والمغرب والعصر ولم تصل . فقال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جماعة .

هذه النادرة تدلنا على ان بشارا تحدى مجتمعه ، في كل ما كان يقدسه . لقد استخف بالضيوف والعربي كان يقدس الضيافة . كما انه تبول امام الناس ، متحديا بذلك الحشمة والحياء . وتهزأ بالصلاة وتجاوز عنها فكأنه يعيش في عالم من المقاييس الخلقية والاجتماعية يختلف عن واقع العالم الذي يمايشه الناس . ولعل الشاعر لم يصدر بتلك التصرفات الا كنتيجة لاختلال المقاييس بالنسبة له او بالاحرى عن كفره بها وتحديه لها . واذا ما أضفنا الى هذه الامور ثورته على الموالاة ودعوة الموالي للخروج عن طاعة اسيادهم تحقق لنا الى اي مدى كان بشار قد تحرر من واقع انسان عصره ، هاجيا اولئك الذين ينصرفون وفقا للتقليد والعادة . فهو يقول :

اصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم
مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك افضل من تميم كلها
اهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع
سبحان مولاك الاجل الاكبر

أنت ترى شدة تحرج الشاعر في نفسه من امر الموالاة فهو قد طالما تفكر بها ؛ وأراد أن يبررها بالنسبة لنفسه . فلم يقو وتحقق له انها مظهر من مظاهر الغبن الاجتماعي وان الناس جميعا يتساوون في الله ، فدعا الموالي الى ترك اسيادهم . وهذه الابيات تدل على انفة الشاعر ، وعدم اذعانه للواقع ؛ وهي بالاضافة الى ذلك ، مظهر من مظاهر ثورته على المجتمع ، مما سوف يتبلور ويتضح خلال هجاء ابن الرومي والمتنبي . الا ان هذه النفحة الانسانية في هجائه لم تكن مباشرة عن قصد بل اتفقت له من خلال نقمته على واقعه وعلى العرب . ذلك ان بشارا كان يدعو الى التخلي عن القيم جميعا ، والتحرر من كل القيود ، وهو لا ينفك يحض على الفحش والفجور ، لان الفضيلة انتقضت بالنسبة اليه . فهو يقول :

لاخير في العيش ان كنا كذا أبدا
لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج
قالوا حرام تلاقينا ، فقلت لهم
ما في التلاقي ، ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وكذلك قوله :

لا يؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

وهذه الابيات تدل على ان نزعة الاباحية تملكت الشاعر واستبدت به ، فلم يعد يكتفي بان يتحدى القيم الاخلاقية بنفسه ، بل اصبح يدعو سواه الى مواقعة الفحش والخطيئة . وهذا الفحش كان يريح الشاعر لانه يحرره من خصب نفسه ويوقعه في الاعياء الذي تتخدر به حيويته . وهو على الاحوال جميعا يصدر عن تلك النزعة الالحادية العامة التي طغت على حياته ومصيره . وهكذا ، فان الهجاء لم يكن في شعر بشار يجري وفقا للسنة المتداولة القديمة ، بل باسلوب غير مباشر يعبر فيه عن آرائه في الحياة ويصف به تجاربه الفاسدة الفاجرة .

فهو لا ينفك يشعر بانه مرغم مقسور ، تستبد به طبيعة قدرت له من دون ارادته :

طبعت على ما في غير مخير
هواي ، ولو خيرت كنت المهذبا
اريد ، فلا اعطى ، واعطى ولم ارد
وقصر علمي ان آنال المغيبا
فاصرف عن قصدي ، وعلمي مقصر
وامسي وما اعقبت الا التعجبا

هذه الابيات توجز لنا التنازع الداخلي الذي ما برح يتأكل الشاعر . فالقدر قد منحه ما ليس يريد وهو اذا ما أراد شيئا فانه لا يقوى على امتلاكه . ويلبث في تلك

عـنـــاق

عانقِ الحسنَ حانقاً أو حييا ... فارَ خمراً وانشقَّ ورداً جنيا

ضمها ساعدي اليَّ فمالت ... تحشدُ السحرَ والفتونَ عليا

ثارَ في وجهها الحياء وفارتْ ... فورةَ الكأس فاستبقتُ الحميا

فَورةُ الحسنِ نشوتي لا ابالي ... بجفوني شربتُ أم شفتيا

شقتِ الغيظَ عن رضى وأرتني ... خلفَ ذاك الجفاء شوقاً حفيا

مَكنتني من العناق وقالت ... هل يردُّ الضعيف عنه القويا

لكَ ثغري فصبها ملء ثغرى ... لا ترق بعضها على وجنتيا

حرمَ العاشقون ثغري فراحوا ... يسكبون الهوى على راحتيا

قلت للسحر واللمى قبـــلاتي ... لم ارقها على يد او محيا

واجتذبنا العناق مني اليها ... ما يشاء الهوى ومنها اليا

علقت بي كسارقِ الوردِ ثوبي ... في يديها وزهرها في يديا

نال مني الجمالُ ما نلتُ منه ... عدني آثماً ودعهُ بريا

انا في الحبِّ شاعرٌ يتغنى ... لستُ في الحب كاهناً او نبيا

الثمُ الحسنَ مثلما انظمُ الشعرَ فتروي الشفاهُ عن شفتيا

خجلَ الحبُّ ان يكون جباناً واستحى الحسن ان يكون سخيا

فارس سعد

الحالة من الحيرة والتآكل ، لا يدرك حكمة الاشياء ، بادئا بالحيرة ومنتهيا بها ، حتى تتشبه له القدر ، ويمضي مجاريا هواه لانه طبع عليه . وهكذا ، فان بشارا يقترب الى المطيئة في واقع التجربة التي فاضت بشعره الهجائي الا انه يختلف عنه في انه اشد شعورا بالتعقد والبؤس. وانه ابعد توغلا في مأساة الكون ، التي ما برح يحمل وطأتها على كاهله منذ ان ادرك نفسه ، وما سيمت به من مياسم الضعة والتشويه والمنكر . ولقد تداول الرواة العرب من شعره تلك الابيات التي تقترب الى النادرة والتي تثير وتفكه بغرابتها ، ولم يفطنوا الى المأساة الموحشة التي كان يعاني وطأتها حينا بصمت ، وحينا اخر بثورة ونقمة .

ايليا الحاوي

شوق مصلوب

يرثي الشاعر امه وهو اصغر ولدها

للدكتور بشر فارس

لولا انتِ ما اتت الدنيا الينا
هذّبتها فلا تغافلنا بالمعول الأخرق
يا حِجر السماحة من بَعدك هزل معنى العطايا
كانت تطلع عرائس في هفائف نور من منجم حبك .

في ذخيرة صدرك حشدتِ اوجاعنا . زَرَدتِها درعاً تدفعين ضربات الرياح :
جبهةٌ في زحمة الروض
رحّبتِ بالقذيفة الطاحنة ، تستوقفين الأذى ببسمة الرضا
يا شهيدة البيت — يا بطلة المحبة

روضُ السنابل يبكي — بعد ان حضنته بدموع هلع
طاشت كل حبة تلفت اين شريان الروض — واليبس يهدد
أماه !
الخبز على أيدينا مصيره ان يَسمرّ
هذا حطبنا يخذله لهب الطهارة
اين عيش نعمته شمائل صباحتك ؟

على بساط نسجته التقوى
زرتِ الارضَ — وهاجرتِ حرة بيضاء من غبار الفناء
رقائقُ مرّت — اطمأنت عند ربوة الوجود
القي بأهداب البساط — نستعصمُ بها في صحراء الغرور
يا واحةً جذبها الحقّ الى بستان الامان
الاهداب ... فتات مائدتك مآدب — مواكب في مجاهل الصدور

يا نافذة السور المسحور — لوّحي بمنديل فرحتك
هفت به اهازيج عود يصلي عند مناسك النعمة
لوّحي من براءة برجك تمسحي كتائف الضمائر بالمسك المجهول
تنسمت لطفه هنا — تمليته الآن عند حكمة السر .

اطلي
أحدُ السنابل فتشتِ عنه في نهاية مطافك
آخرُ السنابل — ظلالٌ حفت حياء جوعه
في كمه الشوق تلوّى بحرقة اليتم — سنةً كاملة ، قبل الاجل
في خشية اليأس تحيّن الانس من ريحان أنفاسك
صرخته خنقةُ الحسرة
آه من وحشة حفرتها شناعة الارض . . .
ما كاد يخلص إلى دفء محرابك حتى سبقه جناح الرحمة
تمّ اللقاء ساعةً عانقتك السكينة — يا نسمة الابد
فانحنى حنين جفونك على الشوق المصلوب
تسامرا لحظةً في أفق نبضه رجاء القلوب :
صدقُ الوله غلب القدر

انكشفت حفرة الحرقة
لا تجزعي — جحيمها أزفه قرباناً إلى مطلع حياتك
أنا التائه هنا في ضيافة الموت
آخر السنابل يلاحظه اليبس
نجوه مُديّ من كرامة منديلك
أتمثلُ عبرة في أنوار إنجيلك
يا ربّة العطايا — أمي .

القاهرة بشر فارس

الشعر غناء وانفعال لكنه ايضـا وقبل كل شيء صلة روحية .

في الخبرة الشعرية للسيد محمد عزيز الحبابي (الشاعر والفيلوف) تتجاوب رغبات القلب ومطالب الفكر بـداهـة .

ان الحرية والاستقلال القومي وحب القريب والبيت وبغض الحرب والظلم ليست عند هذا الشاعر مجرد تمنيات وانما هي حقائق احس واعتقد بها وعاشها وعبر عنها انه يحس « فجر العهد الجديد » مشرقـا في نفسـه .

اني اتمخض بحلم
سوف ينفتح في الربيع
مع الورود
هو اخضر
كشعار وطني
هو احمر
كغضب شعبي
يغني – اغاني الامل –
وفي الوقت ذاته يرسم تعاسة الناس
والشعب المغربي جذلان هاتفا للحرية
او مفجرا في الافق فجر الاستقلال .
عم صباحا يا استقلال
المسوخ التي
لا قلب لها
لن تكدر بعد اليوم صفاء اعيادنا
واي رام لن يجرح بنباله ضوء قمرنا
بيد ان النجوم المتلالئة تتالق
والقهـا المبارك
يبدد الريح ويزرع عذوبة الحياة
عم صباحا يا استقلال
قلوبنا المتألمة استأنفت الخفقان

⊙ من ديوان « بؤس وامل » الذي سيصدر عن دار المغرب العربي في بيروت

بؤس وامل

بقلم الاميرة للا عائشة

⊙

على رجع اغانيك منسابة
يشدو بها شعب باسره سعيدا
في ليال مضيئة
في اسواق بهيجة
الامل بالوان بيضاء
وبوارق خضراء
يغطي جوانب الحزن الشاحبة
عم صباحا يا استقلال .

انها لموسيقى شجية ورسم غير متكلف يعبران بكلمات متفجرة بقدر ما هي بسيطة ، عن احاسيس نبيلة وافكار كريمة والشعر اليس فن الروح الحقيقي ؟ الفن الذي يكشفها كروح كشفا صحيحا ؟

واذا كانت فكرة الفيلسوف

•

الدكتور محمد عزيز الحبابي



الشخصاني لا تدخل الى اذهان الجماعات فان شعره يثير مشاعرها لانه يخاطب بنضارته ونبراته المندفعة من اعماق الانسانية قلب كل انسان والاحاسيس العامة .

هي كقصائد شاعر فيلسوف،لاينقصها شيء لا من حيث الناحية الشعورية ولامن حيث الوجهة الفكرية، والجديد فيها ميزة الرغبة في ان يحيا الانسان حياة الكرامة والاغتباط بالمحبة ، ميزة الاندفاع صورة وشكلا .

ان هذه القصائد ستمهد لمعرفة مدى رحابة النزعة الانسانية لدى مؤلفها الذي عرفته مختلف البلدان واللغات وفي الوقت ذاته سوف تتيح للعالم ان يقدر المشهد الحي من المغرب الحالي .

ان مغرب اليوم لا يريد ان يعبر عن احاسيسه الذاتية واوضاعه الخاصة فحسب وانما يريد ايضا الارتقاء الشامل بتادية مهمة شعب خلاق متضامن مع جميع الشعوب، ان المفكر والشاعر الحقيقي لم يعد صاحب المناجيات والمنمق من الكلمات ، والثرثار العابث او العاشق الحزين ، وانما هو الانسان البسيط الذي يخاطب الجميع ببساطة ويتحدث عن كل الامور ، انه يريد ان يتاح للمتضعفين في كل البلاد ان يقولوا : « نحن كالاخرين » يريد ان لا نخمد انفاسم او لا يكونوا شيئا مذكورا .

واذ تضغط علينا قبضة الجوع
ونحرم الخبز الحار والقبلة الغالية
نحن ايضا نفضل النسمة على الزوبعة .
ولنا آذان مرهفة لسماع شجن الالحان
ليس السيل العرم ازليا لنا.
فالشمس تشرق لنا كغيرنا
والقمر ينير ابصارنا التائهة
محبتنا للبيت العائلي
وللعشب النضير .

زنبقة

يا عطرك السحري يا زنبقة
يا غابة الاحلام يا مورقة
مروية بالحسن نشوانة
مجلوة مزهوة مونقة

يا نجمة الصبح رواها الندى
يا بسمة الفجر رواها السنا
يا نشوة في القلب عريانة
يا دهشة الحلم ونفح الصبا

يا فلذة النور وضوء القمر
يا زبد الموج وعطر المطر
يا لحن حب يا عبير الهوى
يا رعشة الروح شجاها الوتر

يا نفحة الحب وروح الربيع
يا ثملا في كل درب يضوع
يا سكرة الروح ولفح المنى
يا تيه قلب في بحار الولوع

يا جنة بالسخاء فينانة
يا نعمة بالعبير ريانة
جودي وجودي بالعبير الاثير
يا فتنة بالنداء نهلانة

يا شوق قلب يا حرف اغنية
لهيفة بالحنين مروية
يا دعوة للهيام للاحلام
يا رحلة للبعيد محكية

يا مقلة بالحياة منهلة
يا نور عين بالحب مخضلة
يا ذكريات الخلد قبل الهبوط
يا لهفة للوصول منثلة

القاهرة — **ملك عبد العزيز**

والماء الضاحك
عظيمة وغنية كسمائنا
المرصعة بالنجوم
نحب هذه السماء الرحبة
من كل نفسنا البلورية الجريح
كل دمعة يستنزفها الظلم
نسمة حياة تنطفئ
يجب ان نحب حيث الموت
يهدد جمال الابتسام
وبهجة العيش
بلا تنهدات

المغرب يعيش فترة تجريبية حاسمة في تاريخه: مجابهة عهد جديد والقيام بمهام ثقيلة خطيرة ، وهذا لا يتم بغير الم، ونكران ذات وشجاعة، فليكن الشعر والفلسفة والثقافة اجمالا معينة له على المزيد من الشعور بهذه المهام وتأديتها على افضل ما يليق بماضيه المجيد .

ان التفاؤل الذي تشتمل عليه هذه القصائد، ورغبة الحياة وحب العمل، واتساع الشعور الانساني فيها هي الانعكاس الواضح لاحاسيس الاجيال التي تتصافح ايديها مصافحة اخوية لبناء او اعادة بناء ــ مغرب الغد في غبطة تحت رعاية مرشدها المعظم صاحب الجلالة محمد الخامس

الرباط — **للا عائشة**

في المستشفى الصغير

بقلم مظفر سلطان

قصة

عدت من غربة نازحة ، فاذا دولاب الحياة الشيخ كعهدي به يدور ... ويدور ... بغير ان يقدر له ان يقف لحظة ، وان كان ظهره المقوس قد ازداد تقوسا هذه المرة ، وصوته الاجش قد غدا كصوت الشلال الهادر يأتي من بعيد ... وحركته الرتيبة قد عادت اكثر ريثا .. وبطئا .. وبلادة ..

ضجر .. ضجر .. ضجر .. وسائق بدين يهوم ويزجي مدحلة ضخمة في يوم قائظ ... والدولاب الشيخ يدور ... ويدور ... ولا يملك ان يقف لحظة ...

ووجوه نضرة كالبراعم قد غدت زهورا يانعة .. وزهور يانعة كالدراري قد امست كاوراق الخريف تتشدد وتتجلد حذر أن يحملها الدولاب الراصد الى الطرف الاخر ...

— وفلان ؟ ..

فرد علي محدثي يقول مبتسما :

— منذ عامين وبعض العام . اتم تحصيله ، فأتم جنونه ، فاصبح مديرا ، بل مالكا ، لاحدث واخر مستشفى مجانين في المدينة كلها ... فقلت احاوره :

— أتعني انه اتم دراسته ، وعاد الى اهله ، وهو هنا الان ؟ .. وتذكرت ما كان بين الصديقين من مناقشات ومهاترات قديمة وانا استمع اليه يستطرد متندرا بصديقه :

— اجل لقد اتم دراسة الامراض النفسية بتفوق باهر ، وعرضت عليه الجامعة التي كان يتلقى علومه فيها ان ينقطع اليها فأبى ... وعاد الى بلده ، فباع كل ما ورثه عن ابيه من مال ومتاع ، وابتنى في اخر قطعة ارض بقيت له ، مستشفى للامراض العقلية .. شاده وأثثه على احدث طراز ، وكان هو اول واكرم ضيوفه.

وتوقف محدثي لحظة ، ثم استتلى مستضحكا :

— واني لاخشى ان يكون هو الاول والاخير فيه ...

.. وكرت بي الذاكرة الى سنين بعيدة خلت ، ومرت على اوحتها صور مشوشة مبهمة لزمرة من طلاب السنة الاولى من المدرسة الثانوية .. اشقياء .. ابرياء .. عرابيد .. يعبثون بكل شيء ، ويسخرون بكل محترم .. وتذكرت زميلنا النحيل الجسم ، الساهم النظرة ، الاشعث الشعر « عاكف » ... وكيف كان ينعتنا جميعا بالضائعين ... وبالمجانين ... فنسلم له بنعوته متلاحظين متفاهمين لاننا كنا قد اتفقنا جميعا ، على انه هو الشاذ بيننا حتما .. وهو المجنون حقا ، ونعبث ببعض المجانين الذين يمرون بنا او نتربص بهم في الشوارع والازقة فلا يشاركنا عبثنا البريء أو الخبيث ، ويكتفي بمراقبتنا بنظرات هي اغرب من نظرات المجنون الذي رماه سوء طالعه بين ايدينا ... ونقرا الروايات البوليسية والغرامية المتعة فيطالع هو الكتب النفسية والعلمية المعقدة ... ونجمع الطوابع الفريدة وصور الممثلات الفاتنات ، فيعنى هو بجمع صور الشذاذ والعباقرة والمجرمين ... ثم يجمع ما يقع في يده من جماجم الموتى ، ونمضي اوقات الفراغ في دور السينما او الحدائق العامة ويمضيها هو في دار الكتب او في غرفته على السطح يطالع كتبا قديمة وحديثة في علم النفس والفلسفة والسحر والمغيبات ... فلما تقدمنا الى الفحص النهائي كان هو اول الناجحين ، وكانت علامته في مادة الفلسفة وعلم النفس اكبر علامة نالها طالب في تاريخ المدرسة ...

وتركني محدثي اهيم مع الخيال حينا ، ثم ردني الى واقعه بقوله :

— يبدو انه لم يسع للقائك وتحيتك بعد عودتك ... فهل تحب ان تراه ؟ ..

— لا بأس ... فمتى تستطيع ذلك ؟ ..

— كم الساعة الان ... الخامسة ودقائق ... حسنا ... وارى أن هذا الوقت هو افضل وقت لزيارته في مصحته العامرة بوجوده فانهض بنا اليه ...

وقال الصديق :

— المستشفى غير بعيد من هنا فهل تؤثران نمضي اليه على الاقدام ؟ ام .

فقلت ناشطا :

— بل سيرا على الاقدام ، فانني احب ان انعم بكل دقيقة من ايام الخريف الشاعر العاشق ...

وقلت احاور صديقي ونحن منطلقان على مهل :

— اما صاحبنا الطبيب فقد اتم جنونه بابتناء هذا المستشفى الخاسر ، واما انا فقد ادركتني حرفة الادب كما يقولون ، فأتممت جنوني بدراسة الادب وتدريسه في بلد كهذا البلد ، وأما انت .. وضغطت على اللفظة الاخيرة بلهجة ذات مغزى ، فتبسم محدثي ساهما وقال متأنيا :

— اما انا .. فقد كفرت بالارض ، ورحت احلم بالسماء ... فلفظتني الارض ، وانكرتني السماء ، فعشت معلقا بهما الى اليوم .. اقتات بالوهم ، واعيش على الضياع ...

— لقد قرات بعض كتب الصوفية ... ولكنني لا اكتمك انني لم ابلغ منها حظا استطيع ان افهم معه حديثك هذا .. فهلا زدتني واوضحت ... فقال بصوت محترق :

— لقد رفضت ان اقر للمراة بانها انسان .. ورفضت هي ان تقر لي بانها ملاك .. وهكذا : ... ضيعت الملاك وضيعني الانسان فلم يبق لي بينهما مكان ..

ولزم الصمت لحظة استتلى بعدها قائلا :

ــ وان لذلك كله مسلية .. قد اقصها عليك في ذات يوم ..

وكانت الذاكرة قد عادت بي الى السنين الخالية كرة أخرى ..وارتسم على لوحتها القديمة صورة واضحة المعالم لفتى وسيم في السابعة عشرة من عمره ، يتأنق في ثيابه وحديثه ، ودعابته ولا يجد باسا في ان يقف الى نافذة غرفته الخلفية اربع ساعات متوالية ليظفر من جارته الحسناء بنظرة عابرة ..

وكدت اقول له معاتبا :

تتندر بطبيب الامراض العقلية .. وترميه بالحجارة وبيتك من زجاج .. كدت اقول له هذا ولكنني امسكت .. وعدت الى الذاكرة انبش منها بعض الصور القديمة ، واستعرضتها بحنان الغريب النازح .

وبعد بعض الساعة ، كنا جزنا اخر بيت من بيوت المدينة وخلصنا الى البساتين التي تحف بها .. وكان صاحبي قد ادرك بعض تعبي وسأمي فقال :

ــ اترى هذا البستان المنعزل .. ان غايتنا عنده فلا تجزع ..

وانتهينا الى بوابة البستان ، وقد تكشفت لنا الاشجار الوارفة عن بناء صغير انيق يختبيء بينها ، كما تختبيء الحمامة البيضاء بين افنان يعابثها النسيم،ولقينا فيبعضاطراف الحديقة ، الجنائني وهو في الوقت ذاته بواب المستشفى ، فسألناه ان يعلن قدومنا لسيده ، فرمانا بنظرة غريبة ، وقادنا الى احدى الغرف الجانبية وانا اقول في نفسي :

ــ لعله احد ضيوف المستشفى الفقراء شفي من مرضه اوكاد فالحقه الطبيب بخدمته ..

وتركنا البواب لهواجسنا والساعة في الجدار كانت تخفق خفقات رتيبة غريبة ، جعلت شعورا مبهما بالانقباض يشيع في نفسي ، ويطبق على عقلي .. وانا اهمس لنفسي : وهذه الساعة ايضا ...

وتاخر الطبيب . ولزمنا الصمت واستسلمت للهواجس :

لو انني كنت سجين هذه الغرفة، وكانت هذه الساعة اللعينة ذات الصوت الغريب كحشرجة المحتضر معلقة في اعلى الجدار بحيث لا اصل اليها فاسكتها .. او احطمها .. اذن لجننت .. او لاحتلت على السجان ــ ولعله يكون هو البواب نفسه ــ فحطمت راسه .

وفتح البواب بغتة فنهضنا واقفين ظنا منا ان الطبيب جاء يسعى للقائنا معتذرا عن تأخره الينا ولكننا منينا بخيبة مشتركة حين رأينا الداخل احد المرضين، لا ينظر الينا اطلاقا،ويفتح احدى الخزائن وياخذ منها شيئا ،ثم ينصرف بخطى ذات وقع غريب بغير ان يتفضل ايضا فيلقي علينا نظرة ..

وابطأ علينا رب المصحة فقلت لصاحبي احاوره ، او قل انشاغل عن الهواجس المضحكة التي ركبتني كسرب من نمل ، تسلل الى جسدي .. ثم عقلي وتفرق في سائر اطرافه واجزائه ...

ــ قد ينال المرضى والمعتوهون الشفاء في هذه المصحة .. اما سائر الناس .. اعني الاصحاء ، فلا يستبعد ان يصابوا فيه بلوثة او ..

فضحك حتى بدت نواجذه فقال:

ــ خشيت ان اتحدث اليك بمثل هذا فتقترح على الاقامة الدائمة هنا .. فابتسمت وقلت :

ــ هذا اغرب .. غريب جدا ... ولكن ابن صديقنا النطاسي الالمعي ؟ ام ترى ان دورنا عنده لم يأت في القائمة بعد ....

فهم صديقي بالرد علي، ولكن كلمته الاولى تعلقت بين شفتيه حين سمعنا من جهة لم نتبينها من جهات المستشفى صراخا رهيبا انطلق بغتة فزاد الجو كآبة ووحشة ، وزادني ، ولعله قد زاد صاحبي انقباضا وحنقا ..

وقلت لصاحبي معاتبا ، وانا اشمل اللفافة الثانية :

ــ اذا كنت انت تؤثر البقاء ، فانا ارى ان من الخير لي ان ارجيء هذه الزيارة الى وقت اخر ، ففهم دعابتي ورد علي بمثلها يقول :

ــ بل تبقى انت وانطلق انا ... انه صديقك الحميم ، وانك لم تره منذ سنين ..

وهممت ان اقول له شيئا فجاءنا الصراخ من الجهة ذاتها ، ولكنه ابعد واشد هولا ونكرا .. عويل مخنوق يلقي الرهبة ان لم اقل الذعر في اشد القلوب اطمئنانا وثباتا .. حيوان غريب يكوى بالنار فيخنق صوته ثم يندفع فتحمله الينا ريح عاتية في ليلة عاصفة .. ودخل علينا الطبيب ، فهببنا مذعورين ، ولا اقول مرحبين .. فان شعره القليل الاشعث وسحنته المكفهرة ، ونظراته المتالقة ، لم تكن الا امتدادا لذلك الصوت المنكر الذي كنا نسمعه ، والذي انقطع بغتة قبيل دخوله علينا وابتسم الطبيب لصديقي وحياه ، ثم انثنى الي يتأملني في لحظة خاطفة ويندفع الي معانقا مرحبا .. ثم يتقدمنا الى غرفته ، وهو يعتذر عن تأخره علينا لانشغاله بحالة سماها « جديدة مستعصية » وانا لا اكاد افقه شيئا من اعتذاره وحديثه حينما التفت فرايت البواب ذا النظرة الغريبة يخرج خلفنا ويغلق باب الغرفة التي كنا فيها وهو يتابعنا بنظرة اخرى من نظراته المريبة .

ولم اتمالك نفسي، وتركت الطبيب يصدر بعض التعليمات الى احد المرضين ، ونحن نسعى الى غرفته في ممر طويل ، وسألت صديقي هامسا:

ــ اين كان البواب ، ومن اين اتى فاغلق من خلفنا باب الغرفة التي كنا فيها ؟ ...

ففكر الصديق لحظة ، ثم اجابني مبتسما وهو يرميني بنظرة واضحة المغزى :

ــ كلا ...

ــ بلى .. لقد كان هناك باب اخر فلعله دخل منه ..

وحين ذاك فقط ، استطعت ان انهم اقوال الطبيب ، وارد علــى ترحيباته واسئلته ..

ودخلنا غرفته فاذا هي فسيحة شاحبة يسيرة الاثاث .. اما مكتبه الضخم فحانوت عقار او عطار ، انتقل الى حانوت اخر ولم يتسع له الوقت فيرتب وينسق بضاعته في الحانوت الجديد ...

وكانت الجماجم .. جماجم زميلي طالب السنة الاخيرة من الدراسة الثانوية تحتل رفوفا صغيرة موزعة على سائر جدران الغرفة ..

وجاءتنا ممرضة عجفاء كبومة نائحة بقهوة منعشة جيدة النوع والصنع .. وتشعبت بنا الاحاديث تتناول الحاضر والماضي والمستقبل .. واذا نحن امام عبقري من عباقرة الطب النفساني قلما عرفت الجامعات والمستشفيات مثله ..

وقلت لصديقي الطبيب مداعبا ومشيرا الى الجماجم :

ـ ما اراك انكرتها ! او تخليت عنها ...

فاشعل لفافة ، وعب منها انفاسا سريعة متلاحقة وقال :

ـ الجماجم ... آه: انهن صديقاتي ومؤنساتي فكيف اتخلى عنهن ..ومن يدري ... فلعلي اوصيكما اذا تاخر بكما الاجل عني ، ان تنبشا قبري بعد موتي باعوام ، وتستخرجا جمجمتي وتضعاها بين زميلاتها في هذه الغرفة ..

واطفا نصف اللفافة بحركة عصبية ونهض فقال :

ـ ثم من يدري ايضا .. فلعلي اظفر يوم ذاك بما عجزت عنه اليوم من الحديث معها والاستماع اليها ..انها تتحدث في بعض الاحيان ولا ريب .. ولكنني عاجز عن فهمها وآسفاه .. والان لعلكما تؤثران زيارة اقسام المستشفى ومشاهدة بعض النزلاء ..

وتقدمنا فخرج من الغرفة ، ونحن نتبعه صامتين .. وما كدنا نبعد عن غرفته خطوات حتى اعترضنا البواب يتحفنا بنظرة عابرة من نظراته ، فالتفت الينا الطبيب وقال :

ـ اكبر الظن انكما لم تلقيا بالا الى « بري » بواب المستشفى وحارسه ومروض نزلائه ..هذا الرجل الهادىء الذي ترونه لا يتحدث في اليوم الواحد اكثر من بضع كلمات وللضرورة القصوى ، وهو يمتاز بقوة جسدية خارقة ، ويستطيع بكلمة واحدة من قبضته الحديدية أن يصرع اشد النزلاء زيغا وعتوا ..انه اعز وابر موظف لدي

فقلت بصوت خفيض :

ـ يخيل الي انه هو نفسه كان من ضيوف المستشفى في ذات يوم .. ثم ...

فقال الطبيب على الفور :

ـ بلى .. لقد وجدته في احدى القرى مجنونا خطرا يعبث به الصبيان ويصيب هو بعضهم ببعض الاذى.. حتى فكر الاهلون برميه بالرصاص تخلصا منه .. وقد جئت به معي وعالجته مدى عامين كاملين ، فاسترد قواه العقلية وكأنه حفظ لي صنيعي هذا فلم يغادر المستشفى من ساعتها ..وما احسبه سيغادره الا الى مقره الاخير ...

وطفنا غرف المستشفى وقاعاته ، والطبيب يشرح لي بخاصة ما كان يعتقد انه بحاجة الى شرح وايضاح .. حتى ايقنت بان هذا المستشفى اذا لم يكن من اضخم وافخم مستشفيات البلدان الراقية ، فانه ولا شك من انظفها واولها استكمالا للاسباب الطبية والصحية . اما صاحبه .. فقد خيل الي وانا استمع الى بعض ملاحظاته الدقيقة انه واحد من اولئك العظماء الذين صنعوا بايمانهم وصبرهم وتفانيهم اكثر القيم الرفيعة في حضارة البشر .

ويبدو ان صديقنا الطبيب قد آثر ان يرجىء زيارة النزلاء الى الجولة الاخيرة .. فلما انتهينا الى جناحهم ، اخذ يلخص لنا حالة كل واحد منهم وتاريخ دخوله المصحة ، واسباب جنونه ـ اذا كانت معروفة لديه ـ ومظاهره ـ وخطوطه البيانية العريضة .. والعقدة او العقد ، التي يتركز عليها جنونه .. وقد لا أكون مبالغا اذا قلت انني رأيت مشاهد يندى لها الجبين ، ومشاهد يقشعر لها البدن، ومشاهد جعلتني اشك في ان هؤلاء الذين اراهم وراء القضبان الحديدية الغليظة هم من افراد الجنس البشري حقا ...

وسمعني الطبيب احدث نفسي بقولي :

ـ اهذا هو الجنس البشري المختار؟

فابتسم وهو يشعل اللفافة الرابعة او الخامسة منذ لقيناه وقال :

ـ نعم .. انه هو ياصديقي ... وان هي الا اشرطة مختلة في سيارات ما تزال قوية وصالحة .. وانك لن تعدم أن تعود الى اي واحد من هؤلاء المساكين بعد عام او اعوام .. فترى انه استعاد كل او بعض قواه العقلية وعاد بشرا سويا كما تريد له ان يكون .. ثم استطرد يقول :

ـ اما اطرف وادق حالة عندي في المستشفى فلعلي قد ارجأتها الى آخر المطاف وانا اعني ما اقول ..انه هناك.. في آخر غرفة على اليمين ... ومن الخير الا تقتربا منها وتشاهدا من فيها الا بعد ان اقص عليكما قصة صاحبها الطريفة ، ليكون باستطاعتكما ان تفهما ما تشاهدان .

وانتحى بنا عن آذان المرضى وعيونهم المحلقة ناحية وقال :

صاحب هذه الغرفة ممثل قدير ، بل ومخرج مسرحي كبير ..ومسرحه سريره ، وممثلوه ظلال افنان الشجرة القريبة من غرفته حين تتسلل وتتسلق ملاءة سريره البيضاء في اصيل كل يوم .. يراقبها ويؤلف منها من الروايات والمسرحيات ما يطيب له حتى تغيب الشمس وتضمحل الظلال

فقال صديقي :

ـ انه لم يكن من نزلاء مصحتك حينما زرتك منذ اشهر

فقال الطبيب :

ـ كلا ... وخشية ان تميل الشمس

وتضمحل الظلال فانني سأوجز لكما قصته ايجازا قد يكون مخلا ، ولكنه سيعينكما على المشاهدة والتتبع والفهم ..

انه شاب يناهز الثلاثين من عمره وهو من مدينة « ... » ومن اسرة ثرية معروفة فيها .. انهى دراسته الثانوية في بلده بتفوق كبير وانطلق الى فرنسا يدرس الاثار هوايته الاولى والاخيرة .. وما اسرع ما ظهر تفوقه في بلاد الغربة كما ظهر في بلاده ... فاعجب به مدير المعهد واستزاره في بيته مرات ثم اخذ هو وزوجته يوثق اسبابه باسباب ابنتهما الوحيدة الحسناء حتى زفاها اليه يغريه بها رقتها وملاحتها وظرفها .. ويجذبها اليه ادبه الجم وتفوقه الرائع .. ثم هذا العمل الممتاز الذي استطاع ابوها بنفوذه البعيد أن يلحقه به فور نجاحه وتخرجه .

وعاش معها عامين وبعضهما تكشفت خلالهما الطفلة اللعوب عن سجاياها الاصيلة فاذا هي — بكلمة وجيزة — غريبة طائشة لم تر بأسا في ان تتزوج احد النابهين المرموقين على ان تسخر ملكاته وامكانياته لتلبية نزواتها المندفعة ... وما اكثرها .. وتكشف هو عن عالم بحاثة لا يتحرج ان يسخر ملكاته وامكانياته في سبيل مطالعاته ومحاضراته وابحاثه .. وبدأت تضيق به ولما يمضي على زواجهما اشهر .. وبدأ يضيق بها .. ويحتقرها وينقم عليها .. كما بدأ يشم رائحة الخيانة تنبعث من حولها يسيرة ثم قوية ، كنسيم شيء يحترق من حولك، تشمه وتبحث عنه وتنقب .. فلا تقع عليه .. وبدا له ان يراقبها حينا ثم اقلع عن محاولاته حين ادرك انها امضى منه في هذا المضمار وامهر .. الى ان كانت ذات ليلة دعي في غدها الى القاء محاضرة في بلدة اخرى وكانت الطائرة ستقلع عند منتصف الليل وتطوعت هي ان توصله الى المطار، ولكن سيارتها ابت الانطلاق لخلل في محركها عند اخر لحظة ، فاضطر ان يثب الى احدى سيارات الاجرة ويلحق بالطائرة في الدقائق الاخيرة ...

اما عودته الى منزله بعد ساعة وبعضها فمازال سرا يكتنفه الغموض .. اجل فقد ترك الطائرة تقلع بدونه ، وارسل الى رئيس الجمعية التي دعته لالقاء المحاضرة برقية اعتذار مقتضبة ، وعاد الى منزله فاذا هو غارق في صمت دامس .. ودخل متسللا كاللص منسابا بين الغرف كهذه الخواطر السود المنسابة في راسه .. حتى بلغ المخدع فرآها مع عشيقها في وضع فاجر فاندفع الى الغرفة واشعل النور ..

وكان المنزل في طابق ارضي فوثب العشيق من النافذة نصف عريان ولاذ بالفرار .. اما هي فقد شلها الذعر في السرير فما عادت تستطيع ان تأتي بحركة او يتحرك لسانها بكلمة ..

وابتسم لها بهول أبكم واطبق عليها يريد خنقها وهو يقول :

ياعزيزتي .. محرك الطائرة كمحرك السيارة قد يطرا عليه الخلل والتوقف في اية لحظة .. وقاومته بضراوة ونشب بينهما صراع دام لم ينقذها منه الا نفر من الجيران الذين هرعوا على صرخاتها المخنوقة ، ودخلوا من الباب الذي كان قد نسيه مفتوحا .. ويبدو انه جن في هذه اللحظة، فانهم ماكادوا ينقذونها من بين برائنه حتى انهال عليهم رفسا ولكما وعضا وتمزيقا حتى اقبل رجال الشرطة فختموا هذه المأساة الرهيبة ..

ونظر الطبيب الى ساعته واردف :

ولن يعنيكما الان تفاصيل عودته الى موطنه ثم وصوله الى هذا المستشفى كما يعنيكما مشاهدة تمثيلية اليوم .. التي قد يختلف اخراجها وحوارها يوما عن يوم .. ولكن موضوعها واحد لا يكاد يتغير ...

ولما بدا لي ان أسأله ، الا يصحبنا الى مشاهدة هذه التمثيلية قال بصوت خفيض :

— كلا فلعله لمحني معكما امتنع او تلكأ ...

واقتربنا بخطى كالهمس .. وكان للغرفة — كاكثر غرف المرضى نافذة تشرف على الممر ، واخرى تشرف على الحديقة .. وعليهما قضبان حديدية غليظة لا تدع أي مجال للشك او التوجس .

فاذا الفتى قد خلع ثيابه العلوية كلها وابقى السفلية ، وطرح على عنقه الرقعة التي يستعملها لتنشيف وجهه ويديه .. واذا هو جالس على كرسي خلف السرير وظهره الينا ، ووجهه الى النافذة المطلة على الحديقة لا يتحرك ولا ينبس ..

وكانت الشمس قد جنحت للمغيب وطلائع الافنان قد تسلقت ملاءة السرير البيضاء وراحت تتسلل وتتلوى عليها .

فسمعنا المجنون يحدث نفسه بصوت خفيض باديء بدء قائلا :

— ها هي ذي زوجتي الغريبة الرفيعة التهذيب .. اترونها ؟ ها هي ذي تخطر في غلالة هفافة هي اطيب من جسدها دفئا وانعم ملمسا ... ها هي ذي تنتظره على الباب في كنفها اللطيف .. « كلام لا يفهم » .. وها هو فارسها المنتظر قد اقبل في موعده .. كم الساعة الان النصف بعد الواحدة .. حسنا .. انه ليس بحاجة الى قرع الجرس مواعيد الغريبين مضبوطة بالدقيقة .. بل بالثانية ...

انهما يتعانقان بشوق غامر ... انهما ينسلان الى السرير وينطرحان عليه متلازمين .. ها هي ذي بين ذراعيه رقطاء تتلوى على الجمر ... ان السرير ليضج بهما ويصرخ ... هذا السرير الفاجر ساحطمه ... ساقتله .. اترون اليها اترون اليهما؟ انهما ليسا خائنين متحابين .. انهما افعيان مشتبكتان في عراك .. رقطاء وسمراء .. ما امتع عراك الافاعي العاربة .. اترون الى الغلالة التي يهب عليها النسيم فاذا هي ارق من انفاسه .. انها تضيق بها .. انها تخلعها .. انها تنحيها ..

غلالة ...

ضمت ، وضاعت احرفي،وانداح طيبالدورق
غلالة خمريــــة ، او قـل بلـون الشفـــق
تمتـص زغب برعـم ، مستوحـد ، مزقزق
وتبحـر يا حظهــا ، علـى شراع ازرق
تصطـاد فيـروزاً بحقـل اخضـر مزوق
وتنحت النهـديـن باحـات لمن لـم يفرق

يا ويلها !! اني اراهـــا شعلـة في اعـرقـي
الطيب مـزروع بكفي كـــوار الـزنبـق
والفجر مرتعش ، وشال الفجـر حقل فـتقي
خيطانها ، خيطان ضوء عـسجـدي الشرنـق
الوانهـا : حبي ، وعشقـي ، واندفاق المشرق

طولكرم ـ الاردن شفيق بلعاوي

لقد شاهدت حية في ذات يوم .. حية رقطاء وسيمة .. « الفاظ نابية» .. لقد شاهدتها فقرفت منهـــا .. فسحقتها بقدمي .. فطالت من يومها قدمي حتى بلغت ذراعا .. وهي مـا تزال تطول ... اترون ما اطول قدمي .. ادركوهما .. من الذي دخل عليهما .. ابوها ... هذا العجوز المتصابـي .. هذا الساحر المهذب .. لقد رايته مع الخادم الصغيرة في ذات يوم ... ولم استطع ان ارى وجهه ولحيته الصغيرة كلحية تيس مهذب .. انـه هو الذي علمني كثيرا من الاسرار في سبيل ان يعرف سري .. وهو الذي دلني على هذه الحية الرقطاء « الفاظ نابية .. واخرى غير مفهومة » ..

ثم من هذه .. امها .. تشرفنا « الفاظ نابية ..»

لقد دخلت عليهما خفيفة الخطـى .. اترونها أنها تقف في مدخل الفرفة .. ثم تدنو من السرير وتتامل ابنتها الفارقة ، وهي لفرط سعادتها تكاد تقهقه او تصرخ ...

لقد رايتها في ذات مرة .. رايتهـا وانا في الحمام تنظر الي عاريا مــن ثقب الباب المتصل بغرفتها .

وقال الصديق :

ـ بل ما اكثر ما نرى داخــل القضبان خلقاًاعقل من الذين يتفرجون بهم خارجها ... ولعله لا بد لـي ان اعترف لك باني ضللت الحدود بيـن العقل والجنون ..

وقال الطبيب باسما ساهما :

ـ والتمثيلية اكانت ناجحة ؟ ..

فقلت ونحن ندلف على مهل الـى الباب الخارجي :

ـ والتمثيل .. اهو الحياة .. ام ان الحياة هي التمثيل ..

فقال الطبيب جادا :

ـ انني اسالك بجد كيف رايـت التمثيلية .. وصاحبها .. فقلـت كالذاهل

ـ انها ليست تمثيلية يا صاحبي .. أنها واقعية .. انها قطعة من الحياة .. ولا جدال في الواقع .

ـ اتعني انك تؤمن ببعض او بكل ما جاء فيها ..

ـ لا علي اذا قلت لك انني اكـاد اؤمن بالكل .. الافق يلتقي بالبحـر عند اخر حدود النظر ..

فقال الطبيب معابثا .. ولعلـه كان يعني ما يقول :

ـ فمتى تحب ان نحجز لك الفرفة التالية لغرفته ..

فقلت باسلوبه وبلهجته :

ـ على ان تكون الثالثة لك .. وفيها الجماجم ..

وضحكنا ضحكة صافية مدوية .. والتفت الطبيب الى صديقي الذي لاذ بالصمت ، وحدجه بنظرة مـن ينتظر رده :

فلزم الصديق المطرق الصمـت وقتا طويلا ثم قال بغير ان يـرفـع راسـه :

ـ لو قدر لنا ان ندرك الحقيقـة التي لا تدرك لاستطعنا ان نفرق بين العقل والجنون .. اما الان ..

وابتسم الطبيب وهو يشد على يده مودعا ويقول :

ـ فهل تتفضل اذن بمجاورتنا في الفرفة التالية : ؟ ..

فقال الصديق ونحن نبتعد مشيرا الى المدينة :

ـ كلا بل اقترح عليك ان تفتح باب مستشفاك هذا على المستشفى الكبير .. فيدخل من يشاء ويخرج من يريد.

حلب مظفر سلطان



عيسى الناعوري

جوزيتي تومازي وروايته البير

بقلم عيسى الناعوري

في صيف عام ١٩٥٧ توفي رجل ينحدر من اسرة عريقة من طبقة اشراف ايطاليا الجنوبية ، ولم يكن قط قد الف كتابا ، او نشر مقالا او قصة في جريدة او مجلة ، ولا كان احد يعرف له اسما بين اهل الفكر والادب ، ولكنه كان معروفا بمكانته الاجتماعية وعرقة نسبه فقط . وفجاة بعد وفاته ، ظهر اسمه ، المع ما تكون الاسماء ، في عالم الادب ، بكتاب تركه بعد موته ، ولكنه كان كافيا لخلوده، وليحتل بين ادباء العالم منزلة جد رفيعة

ذلك الرجل هو جوزيتي تومازي ، دوق (بالما) وامير (لمبيدوزا) ، والكتاب الذي خلفه هو رواية بعنوان (البير) ما كادت تصدر عن المطبعة حتى استقبلها القراء والنقاد على السواء استقبالا يندر أن يناله كتاب ادبي ، فتوالت طبعاتها حتى بلغت في خلال عامين فقط خمسا وعشرين طبعة ، وكان يحدث ان تصدر لها في الشهر الواحد طبعتان متلاحقتان ، ففي شهر حزيران من عام ١٩٥٩ صدرت الطبعتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون ، وتلتهما في شهر تموز — أي بعد ايام فقط — الطبعة الخامسة والعشرون — وهي الطبعة التي اتيح لي ان اطلع على نسخة منها — ولست ادري كم طبعة صدرت من هذه الرواية منذ تموز من عام ١٩٥٩ الى تموز الحالي عام ١٩٦٠ ، ولكنني أعلم ان هذا الكتاب قد نال في تموز الماضي جائزة (ستريفا) الادبية الايطالية — ولا شك في ان فوزه هذا قد اتاح له مزيدا من الانتشار اثار اهتمام الادباء والناشرين في العالم كله لترجمته والذيوع ، ومزيدا من الطبعات في بلده الاصلي ، كما ونشره بلغات بلادهم . ولقد كان مقررا ، في الواقع على اثر فوزه بالجائزة ، ان يترجم الى عدة لغات ، وينشر في فرنسا ، والمانيا ، والولايات المتحدة ، وهولندا والدانمرك ، وسويسرا ، والنرويج ، وانجلترا ، وأسبانيا والبرتغال ، ويوغوسلافيا ، . كما ذكرت ذلك مجلة (المشرق) الايطالية في عددها الصادر في شهر ديسمبر عام ١٩٥٩ .

ولقد كان هذا الانتشار الواسع السريع الفريب ، الذي يندر ان يصل الى مثله كتاب في العالم ، مثارا لدهشة النقاد الايطاليين وتساؤلاتهم العديدة ، فقد ظهرت الرواية ظهورا مفاجئا ، لانسان لم يكن له في حياته اقل مشاركة في الحركة الادبية ، بل كان منطويا على نفسه ، يتهرب من لقاء الناس ، ويتنقل في مختلف البلدان ، رفيقاه : زوجته وكتاب يقرأه ، وبعد وفاته وجدت الرواية عند زوجته مطبوعة على الالة الكاتبة دون أن يكون عليها اسم مؤلفها ، ولولا ان زوجته باحت الناشر (جورجيو باساني) صاحب دار (فلترينللي للنشر) بانه هو مؤلفها ، لما استطاع احد ان يعرف اسم المؤلف وكان عثور باساني على هذه الرواية مصادفة سعيدة جاءته عن طريق صديقة له اتيح لها ان تدري بامر الرواية، فارشدته اليها ، وكان هو اذ ذاك في بدء عمله كناشر ، فجاء نشرها أنجح بداية موفقة يمكن أن يحلم ناشر .

وهنا نتوقف قليلا لنتحدث عن المؤلف ، قبل ان نقول شيئا عن الرواية نفسها .

ولد جوزيتي تومازي في مدينة باليرمو في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٦ ، وما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى ، فقطع دراسته والتحق بالجيش ، وخاض معارك الحرب الى ان وقع اسيرا في أيدي العدو ؛ فسيق الى معسكر اعتقال في هنغاريا . ولم يلبث ان هرب من المعتقل ومضى متخفيا حتى وصل الى الحدود السويسرية الايطالية ، ولم يبق بينه وبين الحرية سوى أمتار معدودات يجتازها فاذا هو في بلده ايطاليا . الا ان الحرية لم تلبث في تلك اللحظة أن طارت من بين يديه ، فقد اعتقل من جديد ، واعيد الى معسكر الاعتقال . ولكنه تمكن من الهرب مرة ثانية ، واجتاز خطوط الجيوش النمساوية — الهنغارية ، وقطع نصف اوروبا مشيا على قدميه حتى وصل الى ايطاليا ، وذاق طعم الحرية من جديد ، وعاد الى الخدمة في الجيش حتى عام ١٩٢٥ .

ولما تولت الفاشستية الحكم في ايطاليا لم يكن تومازي راضيا عن نظام الحكم الدكتاتوري الجديد، فاعتزل جميع الاعمال العامة والسياسية طوال ذلك العهد ، الذي استمر عشرين عاما ، وراح يقضي اغلب اوقاته خارج ايطاليا : في فرنسا ، وبريطانيا ، ولتونيا ، وغيرها . وفي لندن التقى بالبارونة اليساندرا وولف ستومرسي ، وهي بلطيكية الاب وايطالية الام ، ناحبها واقترن بها ، ولم تنجب له ابناء ، فتبنيا ولدا ، هو الان (جواكينو لانزادي مانزارينو ــ دوق بالما) . واما زوجته ــ اميرة لمبيدوزا ــ فهي الان نائبة رئيس جمعية التحليل النفسي الايطالية، ورئيسة الجمعية في صقلية . وهي من المهتمين كثيرا بالبحوث النفسية ، وتجيد ــ كما كان يجيد زوجها ــ خمس لغات او ستا ، وكانت في حياة زوجها تتبادل واياه الكتب للمطالعة ، ويتناقشان في مواضيعها ، وقد يختلفان في تفضيل اديب على اخر . وكانت لغة التخاطب بينهما هي الفرنسية .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عاد تومازي الى الخدمة العسكرية ، والتحق بفرقة المدفعية برتبة رئيس. فلما انتهت الحرب قبل ان يرئس جمعية الصليب الاحمر في صقلية ، ولكن لمدة قصيرة فقط . وفي شهر تموز عام ١٩٥٧ توفي مريضا في احد مستشفيات روما ، وله من العمر احدى وستون سنة . ولكن موته كان طريقا الى حياة جديدة واسعة ، والى مجد ادبي بعيد المدى ، بروايته الوحيدة الرائعة (البير) التي يعتبرها النقاد (عملا ادبيا في القمة) وقد ترك الى جانبها كذلك اربع اقاصيص وعددا من المقالات حول القصة الفرنسية في القرن التاسع عشر ، ولا سيما لدى (ستاندال ، مريميه ، وفلوبرت) ورسائله الخاصة ، كما يقول الناشر في مقدمة الرواية .

تقول زوجة المؤلف ان زوجها كان قبل وفاته بخمسة وعشرين عاما قد اخبرها بعزمه على وضع رواية تاريخية ، ولكنه في الواقع لم يبدأ العمل في ذلك الحين ، بل ظل يرجئه عاما بعد عام ، حتى كان العام الاخير قبل مرضه ووفاته ، فكانما احس عند ذلك بانه لم يعد لديه متسع اكثر من الوقت للارجاء ، فعكف على وضع رواية (البير) وكان يغادر قصره في صباح كل يوم ، ويمضي متابطا اوراقه الى نادي (بيلليني) او الى مقهى (مانزارا) حيث يعكف على كتابة فصول الرواية حتى الثانية او الثالثة بعد الظهر ، ثم يعود الى البيت . واتم روايته في بضعة اشهر من عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ، وما كاد ينفض يديه من تبييضها وطبعها على الالة الكاتبة حتى داهمه المرض الذي لم يلبث ان اودى بحياته .

تتالف الرواية من ثمانية فصول ، وتقع في ٣٣٠ صفحة ، اما بيئتها فهي جزيرة صقلية في أواخر عهد الحكم البربوني ، ووثبة غاريبالدي لتحرير ايطاليا وتوحيدها . وبطل الرواية الاول الامير (فابريتزيو سالينا) اقطاعي من اسرة عريقة ، يعيش مع اسرته في بيئة يرتع فيها الجهل والفقر والمرض ، لطول عهدها بالحكم الاجنبي ومع ذلك تأبى أن تتخلى عن مزاياها واخلاق اهلها ، الذين يعتقدون انهم الهة . . على الرغم من الحياة السيئة التي يحيونها . وقد جعل المؤلف بطل القصة هذا يموت مريضا في فندق في باليرمو ــ اما (البير) فهو شعار هذا الامير واسرته العريقة .

والحقيقة ان الامير فابريتزيوسالينا هو نفسه (الامير جوليو سالينا) جد المؤلف ، وقد عرفه المركيز بييترو تومازي ، عم المؤلف ، حينما كان المركيز لا يزال طفلا ــ وقد ذكر انه مات في فندق حقا ، ولكن ليس في باليرمو ، بل في فلورنسا ، وكان قد جاء اليها هربا من الطاعون الذي اجتاح صقلية عام ١٨٩٥ ، وكان مصابا بمرض التيفوس .

وكما كان الامير سالينا شخصية حقيقية فقد كان كذلك عدد أخر من اشخاص الرواية حقيقيين ، ومن هؤلاء الكاهن اليسوعي الاب بيرونة وبنات الامير الثلاث، وكذلك الكلب (بنديكو) ــ وهو من الشخصيات البارزة في الرواية ــ الذي كان مدللا عند سيده ، ثم مات بعد موت سيده ، فحنطته ابنته كونشينا وحشته بالقش ، واحتفظت به في قصرها مدة طويلة . ولئن لم يعش بعض هؤلاء حتى يراهم المؤلف نفسه ــ ولا شك انه عرف بنات الامير الثلاث العوانس ، لانهن عشن الى ما بعد عام ١٩١٠ ــ فان عمه المركيز بييترو تومازي قد عرفهم في صغره ، فتعلم القراءة والكتابة طفلا على يد الاب بيرونه ، ورأى الكلب بنديكو حيا ثم محشوا بالقش ومحفوظا في القصر .

اما بطل الرواية الثاني ، الضابط تانكريدي فالكونيري ابن اخي الامير واحب الناس اليه ، فتقول الكاتبة الايطالية (ايلدا ريكازولي) ان المؤلف قد استوحى شخصه من ولده المتبنى (لانتزادي ماتزارينو)

وهناك اشخاص اخرون متعددون ، استطاع المؤلف ان يكتب التاريخ عن طريقهم بصورة ملاى بالحياة والحركة كما ان في الرواية مواقف عديدة رائعة تستحق ان تنقل برمتها ، لما فيها من نفاذ الرأي ، والوعي الناضج، والتأملات العميقة ، وكذلك من الشاعرية الجميلة ، التي تضفي على الرواية جوا ممتعا ، وتملاها بالطلاوة والرشاقة، مما جعل بعض النقاد يرون في هذه الرواية « معجزة يحار المرء في معرفة كيف استطاع المؤلف ان يجترحها » كما يقول يومجي بارتزيني ، الذي يرى انها رواية « ولدت شابة رائعة الجمال ، اشبه ما تكون بالالهة مينرفا » ، ويقول انها « خلاصة عجيبة للقاء سعيد بين انسان عبقري، وفكرة مدهشة تفاعلت مع اعمق احاسيسه المكنونة ، نتيجة لتأملات طويلة ، ومطالعات كثيرة في خمس لغات عالمية ، استغرقت عشرات السنين من حياته » .

عمان — عيسى الناعودي

انسي الحاج وقصيدة النثر

بقلم سليم باسيلا

« لن اسبك اسما موسيقيا ولن اتبرع لك بمفاجأة
« انني شغوف بعريك حيث يأخذ هذياني مجده ، انني جائزة باسمك .
« ما معنى الرمز ؟ فم في الماء »
« ولكني لم اصلع واعمالي مخترقة وبلا هدف ،
« الرمز غيب ،
« وسرتك تغيب العالم كدوار الماء ،
« الرمز قوة ووهجك مسلح ،
« وانا جرثومة مدللة بين نهديك
« لقد عمدوهن باسماء غريبة ،
« اذا دعوتك شيئا فانتباه ،
« هناك كتب لها رائحة الفرن وانا اناديها يا كتبا لك رائحة الفرن !
« هناك شعر كالزجاج المكسر اناديه ايها الشعر ايها الزجاج المكسر !
« ولكني لم امسك لك يمنادي ، انت واضحة تعقبني سمرتك

« ولهاث (...) يسكنني ،
« تؤدين/ ادوارك في عيني وتفتحين شبابيكك في نخاعي ،
« النثر اله يقرض اذنك وتحلقين رجولته ! الشعر والحلم في مخدعك
« ومخدعك حيلة واعية !
« ولسوف ادعوك ،
« آه
« ماذا !
« ولسوف اكشف لك سجنا ،
« آه ...
« من يخرجني منه ! .
وثم :
« كان يتامل من الثقب ليرى اذا الحرب ستقع . وخرجت انفاسه
« رجعت لفتح الباب وهي تصرخ
« الصبر قبر » نزع ذراعيه ليخطب
« ولكنها ليطه في قلبه وكاد يتراجع لولا الفضيحة لعاد الى المقاومة وقال لانفاسه

« الصبر قبر ... لكن الحرب قريبة ! انتبهي الى عيني » فضحكت
« واراد ان يقول لها شيئا لكن القطب ارتفع الى مستوى الحدث واخذ
« يقول « من ضربني على (...) اليمنى اصاب فقد اضعت اليسرى . من وجد
« لي (...) اليسرى فليأكلها لاني سافقد اليمنى » وطار صوابه فوضع
« النصف على الانفاس والاخر على القطب وحاول قمع الثورة لكن دون عبث فقد
« استيقظت البشرية في جبهته وراح الجميع يطلب المجاعة .
« واذ كان تحت الغزو ينهار انهيار الباب من ورائه وحصل
« الى الداخل .
« الحرب . لقد انتصرت شعوب جسمه
« البطولة .. الحرب معطف الشهرة
« الحرية . سوف يفترس في الطريق اول امرأة »

* * *

هذا الذي قرأته لانسي الحاج ، ليس شعرا . ولا هو نثر . انه قصيدة نثر .

فما هي هي قصيدة النثر هذه ؟ وما حظ انسي الحاج منها ؟

قصيدة النثر هذه لون ادبي عربي جديد. بل انها لون ادبي عربي غريب . اما وجوه الجدة في هذا اللون ففي انه لا يمت الى سواه من ضروب النثر المختلفة باية صلة كما لا يمت الى واحد من ضروب الشعر المدرسي او سواه باية صلة ايضا .

تقرأ انسي الحاج وهو يحمل اليوم على حداثته اعباء هذه المدرسة الشعرية الجديدة ، فلا تذكر امين نخله بشيء وهو بالمناسبة استاذ كبير من اساتذة النثر الفني .

وتقرأ انسي الحاج ، فلا تذكر فؤاد سليمان ، مثلا ، وهو واحد كبير اخر من اساتذة النثر الغنائي . كما لا تذكر سواهما من الذين كتبوا ما سمي شعرا منثورا ، او ما سوى ذلك من فنون الكلام الذي لم يسم شعرا الا لبعض ما فيه من ايقاع ، وبعض ما فيه من ابهام .

كما انك تقرأ انسي الحاج ، فلا تذكر الكلاسيكيين من شعراء العرب ، هؤلاء الذين ما زالت القوافي والاوزان في اثارهم المرتكز الاول والاخير للعمل الشعري .

تقرأ انسي الحاج ، فتقرأ شيئا خاصا . شيئا مستقلا . شيئا لا يقع تحت التسميات التي الفنا . كما انه لا يقع في التيارات الفنية والشعرية التي ما برحنا حتى هذه الساعة نعيش عليها .

تقرأه ، اذن ، فتقرأ قصيدة نثر ، بل تقرأ شعرا من النوع الذي يدعو له الشاعر الشاب ، بل يدعو له بحرارة، في وسط فكري وادبي يقابل هذه الدعوة ببرودة باردة ، بل بشيء غير قليل من الاعراض عنه وعن تجاربه .

قصيدة النثر عند انسي الحاج ، كما عند سواه من الشعراء الاوروبيين

الذين يعانون هذا الضرب من الشعر ، موجود شعري استقل ، اول ما استقل ، عن القافية والوزن . فلا وزن مهدهد اذن . ولا قافية مكرورة . ولا سوى ذلك من « المفاتيح » الشعرية الكلاسيكية .

الا ان هذا الموجود الشعري المستقل من حيث الوزن والقافية ، ليس نثرا . بل انه ابعد ما يكون عن النثر في ما يتضمنه النثر من وصف تحقيقي ، وشرح تقريري ، واستطراد ، وعود ، ثم تكرار ، ثم تبسيط ، وما الى ذلك من عناصر النثر التقليدية .

هذا الموجود المستقل ، شعر ، هو انه شعر .

شعر في ما يفجئك . وما يفجعك . وما يحرق منك الاعراق . وما يهز منك الذات البعيدة . وما يترك على راس لسانك من طعمه العنيف .

وهو شعر في ان القصيدة منه وحدة كاملة ، مطوية على ذاتها . انها وحدة داخلية مشدودة الجوانب . انها امتداد داخلي مغلق . مضغوط على ذاته . فلا ثقب الى الخارج . ولا نفس من الخارج . بل دوران ، ومعاناة ، وقلق ، واشياء اخر تدور في ارض مسدودة على نفسها ، يضاف الى ذلك حس اوقده هذا الانغلاق بالذات

وشعر ، ايضا ، هذا الموجود المستقل ، في ما يتضمن من طرافة ، ومفاجاة ، وغرابة . طرافة في الصورة ، بل في تماسك الصور . بل في هذا الاضطراب الذهني الذي يلم بك ساعة تقرا قصيدة نثر . ولعل هذا الاضطراب الذهني ، وما اليه ، هو غاية غايات شعراء قصيدة النثر . وقد يكون في هذا محور الحالة الشعرية عندهم . بل مدارها . بل نسجها الصميم .

وشعر ايضا ، هذا الموجود المستقل في غموضه ، او اذا شئت ، في بعده عن الشرح ، والتبسط في الكلام على الحالة النفسية التي يقتضي بحسب مفهوم اقطاب قصيدة النثر ، ان يكون خطفا ، ولمحا ، لا يكاد يضيء حتى يذهب في اعماق الذات ، ولا يكاد يبدو حتى يتغلغل ، وهكذا حتى يثير في ذات القارىء ما يثيره وما يوقظه في ذات صاحبه .

وهو شعر ايضا ، في ان قصيدة النثر ترفض المنطق المتداول في الاقبال على الشيء ، وفي معالجته . وفي تذوقه . وفي التحسس به . انه خلاصة كبت ، ومعاناة ، بل انه خلاصة حالة نفسية مكدسة ، لا واعية ، مضطربة ، ضائعة المعالم ، مجهولة الحدود ، مرضية .

وهو شعر اخيرا ، في ان الكبت ذاك ، وما يواكبه من حالات هي اقرب ما تكون الى الاضطراب العقلي ، والنفسي معا ، ليس كبتا في العمل الابداعي للاثر الفني . انه كبت في الذات العميقة . اما على الورق ، فهو صفاء ، ورواء ، وعمل مدرك .

قلت في ما سبق ان ما تقراه لانسي الحاج ، شعر . شعر هو . شعر تمام . بل موجود شعري مستقل . فهل لهذا الموجود الشعري ، المستقل ، الجديد ، في الادب العربي ، سمات جديدة خاصة عند صاحب القصيدة التي جاءت في بداءة هذا الحديث .

قصائد النثر عند انسي الحاج مرحلة جديدة في الادب العربي . وهي في آن معا مرحلة جديدة من عمر صاحبها . بل هي كل شبابه . انها نابعة من مناطق قصوى في ذاته . انها تحمل من نفسه حالات كثيرة غريبة ، وقد تكون مرضية الى حد ما ، بل انها تحمل ذاته كلها . انها تحمل كل هذه الذات ...

هذه الذات يدركها انسي الحاج تماما . وهي عنده ، كلها ، في كلمة ، بل في حرف . بل في فاصلة . لذا ترى ان بين ما يكتب انسي الحاج وصلا دائما . واصداء دائمة . واخذا وعطاء ، دائمين .

وقد يكون في النقطة عند انسي الحاج مختزن لفكرة او حس . وقد تكون النقطة هذه اغنى من كلمة عنده . وقد يكون الصمت اغنى من الاثنين معا . لذا يؤثر انسي احيانا ان يستعين بالرمز ، والاسطورة . وكلاهما يغني عن كلام كثير . الا ان اثاره الرمز ، والاسطورة ، ليس الا وضعا فنيا مؤقتا لان انسي يرى ان الشاعر الاصيل هو الذي يولد رمزه ، ويخلق اسطورته ، وان هذا الرمز ، وتلك الاسطورة هما بالنتيجة تجاربه الحياتية الخاصة .

ويلفتك من انسي ، عنفه ، وسخريته . كما يلفتك منه تداوله الصورة على غير ما يتداولها سواه من الشعراء . انه لا يتصيدها تصيدا . انه لا يفتش عنها . كما انه لا يكررها . انه يستعملها للتعبير عن حقيقة نفسه ، لا ليجمل القصيدة ، او يبهر القارىء . كما يلفتك اخيرا عند انسي الحاج ، بعض الوزن ، او بعض الموسيقى اللفظية الخارجية ، التي تاتي في قصيدته على غير علم منه ولا سعي منه اليها .

هذه الموسيقى لا يقصد اليها انسي قصدا .

كما انه لا يقصد الى التهشيم الموسيقي الذي يليها . انه في الحالين يستجيب لدعاء في نفسه ، وفي جده . وهو في الدعائين ابعد ما يكون عن التصميم الواعي ، المقصود .

وبعد .

قصيدة النثر في لبنان واقع ادبي جديد . هذا الواقع الادبي الجديد لا سبيل الى نكرانه . ولكن هل يؤتى هذا الواقع ان يعيش ؟

هل يؤتى هذا الواقع الذي لا يعنى الا بصاحبه ، ولا يعبر الا عن ذات صاحبه ، ولا يتجاوز حدود هذه الذات ، هل يؤتى هذا الواقع ان يعيش في صدور الناس ، وفي خواطرهم ؟

اننا ، هنا ، اذ نرحب بهذا الواقع الجديد ، واذ نصفق له ، واذ ندعو له ونصفق لكل جديد اخر ، يطربنا ، ان يعيش ويمد ساقيه على بحبوحة ، في بلد يبرره ان يكون وطنا لكل جديد في الفكر والفن والادب جميعا .

سليم باسيلا

قلعة الخطايا

بقلم جان الكسان

من جمعية الادباء العرب

قصة

وقف امام صندوقه الخشبي ينقر الارض بعصاه الغليظة ، وشاب ينعطف الى اليمين وهو يصفر لحنا بفمه ، ومصباح يتيم في اخر الزقاق يرسل نوره على الجدران الرطبة . بينما صوت خرير (الفيجة) ينساب برتابة .

وتوقفت الراتان امام بيت ثم غابتا فيه ، فحث خطاه حتى وصل البيت واخرج من جيبه مفتاحا دسه في ثقب الباب وبعد لحظات كان الدرج الخشبي يئن تحت قدميه وهو يصعد الى غرفة بدرية . . .

لم يكن يتوقع ان حاله هذه الليلة ستكون غير حاله في الليالي الخوالي .. فهو منذ اكثر من عام ، منذ ان سكن دار بدرية ، يمثل دوره باتقان وهي تخرج في المساء الى دار سينما ، ليس بقصد مشاهدة الافلام ، بل للصيد ... فهي تحاول ان تجد بين الكتل الادمية التي تتحلق حولها على المقاعد تحملق في الحياة المعروضة على الشاشة ، امراة تخدع بسهولة ، وتقبل بشيء من الترويض ان تهب لها رغبة أو حرية في هبة أو جود ..

وقد تمر ايام كثيرة لا توفق بدرية فيها الى صيد اما الليلة التي فازت فيها بالفريسة فان على رامح مهمة ترويض هذا الصيد ليصبح بعد تلك الليلة سلعة بين يدي بدرية تقدمها لمن يدفع الثمن ، ثم ترميها في الشارع لتبحث عن صيد جديد ..

كان صيد تلك الليلة غريبا من نوعه ، فتاة في حدود العشرين ، هادئة ، لم يصدق انها من فراشات الليل بل لم يرغب ان يكون عنها في مخيلته سوى صورة لطالبة حلوة تحمل حقيبة كتبها في يدها وتسعى الى مدرستها بثقة ورشاقة وخفر .

وراح يسال نفسه : كيف اصطادتها هذه الملعونة بدرية ؟. لماذا اختارت هذه الفتاة بالذات ، انها تريد ان تشوه هذا الوجه الملائكي بقضم الرجال الذين يدفعون الثمن .

وظلت اسئلة محبوسة في صدره وهو ينقل نظراته بين الفتاة التي امامه وبدرية التي ماكرهها في يوم مثل هذا الكره العنيف الذي احسه تجاهها وهو يراها تقود هذه الفتاة الى المستنقع ..

ونادته بدرية الى الغرفة الثانية قائلة بصوتها الامر الذي عهده :

اسمع يا رامح ، هذه ليست لك .. قد تكون عذراء ، ومعنى هذا اننا سنقبض من الزبون الاول اجرا مغريا .. هل فهمت ؟!.

« اليوم ادرك رامح ان حضارة جيل كامل لا تساوي نظرة واحدة من عيني ماري ، عندما كانت تلقيها من نافذة غرفتها العالية بعد منتصف الليل ، على المدينة النائمة تحت المطر ثم تعود بها لتنقلها ذليلة بين سريرها والمغسلة ، حيث يمتد نهر من الاوراق الملوثة وسيول من اظافر الادميين التي تنغرس حتى العظام »

فتح عينيه جيدا وكانه يحدق في الظلام .. هذه ساعة تمر وهو يحاول ان يميز ما حوله فلا يرى سوى صور مهزوزة غابت معها المرئيات واختلطت فوقها الاخيلة متراقصة .

وضرب جبهته براحة يده ، وشيئا فشيئا بدات تتوضح امامه الرؤوس ، فاذا هو ممدود بثيابه على مقعد في غرفته كبقايا ثمل امضى كل الليل يعب الخمرة ثم عاد الى بيته ليتهالك على اول مقعد ، قطعة فانية ، هالكة ..

ومرت لحظات اخرى قبل ان يعود الى وعيه ويتذكر كل شيء .. لماذا ماتت ؟. لماذا لم تعتبر ما حدث وكانه لم يحدث ؟.. لماذا ماتت هي بالذات دون كل رفيقاتها الخاطئات مع انها اجمل منهن واهدا واكثر انسانية ؟

ودار بعينيه في ارجاء الغرفة ، كل شيء فيها تافه ، المقاعد والطاولة والسجادة والراديو والمصباح الاصفر الذي يساقط نوره باهتا حزينا ...

ماذا يوجد في الحياة بعد ماري ؟

واشعل سيكارة ..

كان قبلا يؤمن بان لكل انسان مهما كان تافها ـ دوراً هاما في هذه الحياة .. حتى ماري وزميلاتها الخاطئات كن في نظره كفارة عن ذنوب سن المجتمع لارتكابها القوانين والانظمة ..

اليوم كفر رامح بكل شيء ، بالناس والمجتمع والانظمة والمفاهيم وبكل حضارة الانسان ، اليوم ادرك ان حضارة جيل كامل لاتساوي نظرة واحدة من عيني ماري عندما كانت تلقيها من نافذة غرفتها العالية بعد منتصف الليل على المدينة النائمة تحت المطر ثم تعود بها لتنقلها ذليلة بين سريرها والمغسلة حيث يمتد نهر من الاوراق الملوثة وسيول من اظافر الادميين التي تنغرس حتى العظام ..

ماذا كانت تخبيء له تلك الليلة الخريفية العجيبة منذ عامين ؟ ...

كانت الساعة تقارب منتصف الليل ودمشق تنام او تكاد وهو يسير الهوينا وراء بدرية التي كانت تسير امامه في احد ازقة سوق ساروجة وبرفقتها امراة ثانية ...

صيد جديد غنمته بدرية تلك الليلة .

وكان الزقاق مقفرا ـ يذكر هذا جيداً ـ ألا من الحارس الليلي الذي

لم يستطع.. انه ادرى الجميع ببدرية التي تنفذ ما تريد مهما كلفها هذا التنفيذ من ثمن .. كما انه لا يريد جسد هذه الفتاة ، لا يريد ان يشوه الصورة التي ارتسمت عن الفتاة في مخيلته .. وحاول ان يعرف عن حياتها أشياء كثيرة فاجابته باقتضاب ، اسمها ماري ، لا تعرف شيئا عن أهلها ..

تربت خادمة لدى عائلة احبت فيها الابن الاوسط حبا جارفا امتلك عليها كل شيء ، وصارحته بذلك فطلب اليها ان ينالها مدعيا انه يضع اهله بهذا تجاه الامر الواقع حتى يوافقوا على الزواج ، وبعد ان قضى وطره منها رماها الى الشارع فانطلقت فيه على غير هدى حتى اصبحت من فراشات الليل اللواتي يعشن لمخازيه

وانقضت تلك الليلة ، ومرت بعدها ايام وبدرية تكدس الاوراق المالية وماري بقرة حلوب تعطي بلا حساب ، بينما يحاول هو ان يقنع نفسه بان هذه الفتاة لا تختلف عن اللواتي سبقنها الى هذه الدار ، وعليه الا يحرم نفسه من جسدها اللدن الشهي ، ولكنه عبثا كان يحاول ...

كان الصراع في اعماقه عنيفا .. احس معه بكل ذرة في كيانه تتمزق ولم يجد امامه اخيرا سوى ان يقنع ماري بان تهرب من دار بدرية لتعيش معه بعيدا عن هذه البؤرة ..

واجابته ماري بهدوء وهي تربت على كتفه : لا يارامح ، انت اخ كريم ولهذا انا أخاف عليك ، من بدرية ومن نفسي ايضا ..

ولكنه لم ييأس .. وظل اكثر من ساعتين ، اثناء غياب بدرية عن الدار يحاول اقناع ماري بالهرب وهي تتمرد على ارادته ، ولم يجد نفسه الا وكفه ترتفع لتصفع ماري بشدة ثم ينطلق من الدار الى اقرب هاتف يعطي الدائرة الاخلاقية اوصاف بدرية وموقع البيت .

ومرت ثلاثة ايام عرف بعدها ان بدرية سيقت الى السجن وان ماري اصبحت واحدة من بنات سوق النخاسة في قلعة الخطايا حيث تباع اللذة بابخس الاثمان .. وحاول مرارا ان يزور المكان الذي تعرض فيه ماري جسدها سلعة مشاعة للجميع ، ولكنه كان يحجم في اللحظة الاخيرة ، كان يذهب الى هناك ، وعندما يصبح امام الباب يعود ادراجه من حيث اتى

حتى جاءه زميله صادق ينقل اليه رغبة ماري في ان يزورها ... وعندما دخل غرفتها هبت اليه مرحبة فقبلها في جبينها وجلس .. ونادت هي « امها » لتقول لها : قولي لسعيد ان يحضر لنا زجاجة ويسكي ، وامنعي الجميع من الدخول ...

وبلع هو ريقه بصعوبة .. ترى هل تغيرت ماري في هذا المكان ؟.

ولكن شيئا من وجهها لم يتغير ، نفس الجمال والهدوء والطيبة ، نفس الابتسامة الحزينة ترتسم كظل الامل الضعيف على شفتيها ، نفس العينين الحائرتين اللتين تبحثان دائما عن شيء مجهول ...

وشرب ، وشربت وثمل الاثنان ، وبكت هي .. بكت بحرقة كبيرة وهي تنظر الى عينيه ، وعبثا حاول ان يفهم منها سبب بكائها .. كل ما يتذكره الان انه عندما افاق في الصباح كانت هي لا تزال نائمة بنفس الثوب الذي استقبلته فيه وهو الى جانبها بثيابه

ودار بعينيه في ارجاء الغرفة .. لم يجد شيئا يلفت النظر ، خزانة ثياب ، طاولة مربعة ، باقتان من الورد ، مغسلة ، أدوات زينة ، زجاجات عطر بعضها فارغ وبعضها ملآن ، صور ، صور كثيرة لنجوم يعرف اكثرها تزين جدارين من الغرفة هذا جيمس دين . وهذه شادية ، وهذه صباح ، وهذه شقراء لا يعرف اسمها و ..

ما هذه .. صورة طفل وطفلة ؟ وراح يتامل الصورة مليا ، الطفلة تشبه ماري ، فمن هو الطفل؟

وانتقل الى السرير ليجد ماري تفتح عينيها وترتسم على وجهها ابتسامة حلوة ثم تهمس بصوت دافيء عميق : صباح الخير ..

فتقدم نحوها وجلس على حافة السرير ثم طبع على جبينها قبلة وقال

الصور كثيرة في غرفتك ..

ـ هل أعجبتك ؟ .

ـ نعم ..

واشار الى الصورة وهو يقول : هذه صورتك اليس كذلك ؟.

ـ اجل .

ـ من هو الطفل الذي معك ؟.

ـ اخي ..

وامتدت فترة من الصمت انفجرت ماري على اثرها تبكي فاحتضنها وراح يمسح شعرها وهي تروي له حكاية الصورة :

قبل ان اصبح خادمة كنت مع اخي في الميتم ، حيث التقطت لنا هذه الصورة . وفي يوم هرب اخي من الميتم ولم يعثر له بعد ذلك على اثر ، فهربت بدوري وتشردت في الشوارع والدور حتى التقطتني العائلة التي ذقت في كنفها حلاوة الحب ومرارة المأساة ..

وهمت ماري لاستكمال الكلام ولكنها صمتت .. وشعر بترددها فقال :

هل تريدين ان تقولي شيئا .. امضي يا ماري قولي .. لاترددي ..

وقالت بعد برهة : هل تخيب رجائي يا رامح ..

ـ لا استطيع ان اخيب لك رجاء يا ماري ..

ـ هل توافق اذا طلبت اليك ان تحل محل الاخ الذي كوى قلبي الطفل يوم ضاع .

ـ يسعدني هذا يا ماري ، واحب ان اصارحك بشيء وهو انني على ما في جسدك من اغراء ـ لم اتصور ان امسه بسوء .. هكذا كان شعوري منذ اول يوم جاءت بك بدرية الى البيت .. ولكن لي رجاء واحد وهو ان تهجري هذا المكان وتعيشي معي كاكرم اخت ..

ردت ماري يائسة : لا يارامح ..

رحلة في العبير

شقراء يا دميـة أوهامنـــا ... ثم عشتِ عبر الوهم في وهمي
يا بهجـة النسرين ني صحوه ... يا فتنة الأحـلام في النـوم
يـا نشوة الاقداح من خمرنـا ... يا فرحـة السلـة بالكرم
احداقُكِ الشهلاء حَوَّطتهـا ... بالنور .. بالاشذاء .. بالنجم
يـا نشوة الخطاف في عشه ... مسيـج بالشـدو والحلم
يا ركضة الدفء بأوصالنا ... فلتهطل الامطـار ولْتهم
ان صرتِ يوماً طوع ما اشتهي ... برقعت وجـه البـدر بالغيم
طرزت بالفيروز أطرافـه ... سيجته بالشم والضم
صيرتُ كل النجم من شوقها ... معارضاً للشعر والرسم
ان تمنحي الروح ريش المنى ... نتفتُ ريش الشؤم والهم
زركشت بالاحلام مستقبلي ... ضمخته من عاطر الكرم
شقراء قولي أين أين اللقا ... أم نلتقي في شاطىء الوهم

تونس ... نور الدين صمود

سبق ان قلت لك انني اخـاف عليك من نفسـي .. دعني أحياحياتي هذه التي اعتدتها فانا لا اصلح لان أكون سيدة منزل مستقيمة ..

وعبثا حاول ان يجعلها تعدل عن فكرتها ، ولهذا لم ير بدا من الرضوخ لمشيئتها .. وارتمت هي على قدميه تبكي سعيدة ..

ومرت سنتان ، لم ينقطع فيهما يوما عن زيارتها واصبح معروفالدى كل سكان القلعة .. حتى زميلاتهـا الخاطئات كن يكرمنه من اجل ماري التي كانت محبوبة لدى الجميع ...

ثم ماتت ماري .

انتفض رامح من مكانه كالملسوع .

اجل .. ماتت .. انها حقيقـة قاسية لا يستطيع تكذيبها .. اجـل .. ماتت ماري ، ولن تستطيع توقفي العالم ان تردها اليه ..

وثارت في عينيه الدموع مـن جديد .. ومن خلال هذه الدمـوع مرت امامه الصور الاخيرة للماساة متلاحقة : ليلة العيد .. كل الناس في بهجة وهو يدخل غرفة ماري وبيديه هدايا ثمينة .. هي سعيدة جذلى ، وفرحتها اكبر من الدنيا ، ويشربان .. يشربان كثيرا ، ويغيبان عن الوجود وفي الصباح يدرك رامح ، وتدرك ان ما حدث بينهما لا يجوز ان يحـدث بين اخوين ..

ويطرق هو براسه ، ويغـادر غرفتها وتظل هي جالسة في سريرها تبكي ..

بعد الظهر يقرا في احدى الصحف خبر انتحار مـاري « مومـس احرقت نفسها وتركت رسالة تقول فيها : انها احرقت نفسها راضية »

ويطير الى هناك ، ليجد الصالون الكبير غاصا بكل الخاطئات وقـد مسحت الدموع عن وجوههن المساحيق ولاول مرة اعلنت مديرة قلعة الخطايا ، ان البنات لن يستقبلن الزبائن هـذه الليلة ..

الصورة الوحيدة التي ظلـت تخنق المصاب عيني رامح في ساعات الليل التالية ولم يستطع ان يمحوها ، صورة جنازة ماري تسير في الطريق الى الترابية المؤدية الى المقبرة .. كان يسير خلفها رجلان من الشرطة والام التي كانت ترعاها وثلاثة من خـدم قلعة الخطايا ، وهو يقتلع خطاه خلف المشيعين الذين لم يكن بينهم احـد من رجال الدين .

دمشق ... جان الكسان

ماما



جليلة رضا

القاهرة

« ماما » ومر الصوت في زهو — وكانه انغام عصفور
« ماما » واشرق طيفها نحوي — متراقصا كالغصن في النور
فاذا الجريدة من يدي تهوي — واغوص في اوهام تفكيري

وسمعت صوتا ضج في نفسي — وكانه أصداء شيطان
« فات الاوان فاين لي امسي — ومضى الشباب وماله ثان ! »
فات الاوان ؟ فيادجى ياسي — واثار في الصوت اشجاني

ووجدتني كالوردة ازدهرت — في روضة جدباء شتوية
وارتدت النفس ألتي شردت — زمنا الى اعماقها الحية
واذا على خدي قد انحدرت — اغلى دموع العمر ... نارية

فبكيت عمرا مر في اللعب — وبغير فكر مجهد واع
وبكيت حزنا دونما سبب — وتضاحكا من غير اقناع
ورضى بلا شيء ولا طلب — ولاجل لا شيء ولا داع

همست فتاتي الحلوة النشوى — « هذي الدموع بغير انذار
عاهدتني ان تبعثي الشكوى — ماذا بربك حل في الدار
انا في انتظار السر والنجوى » — ومضت تقبلني باصرار

فاجبت « يا سري وتكويني — هو عاصف قد مر في ذهني
ماما نداء منك يحييني — ولكم يبث النور في عيني
لكن بنتك سوف تدعوني — «يا جدتي» فاموت من حزن»

قالت « وكيف وانت لي اختي — وصديقتي ورفيقة العمر
لا تعبئي ما قيمة الوقت — ما دام فيك نضارة الفكر
البنت سوف تقول « يا تانتي » — فلتضحكي يا ام في بشر »

تمتمت « فلأهزأ من الزمن — انا يا ابنتي ماما فناديني
ساظل اسمعها لتهزمني — وعن الهوى الغدار تثنيني
ساظل اسمعها لتجنني — في سجن ابنائي وتحميني

الادب بين القديم والجديد

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

من طبيعة النقاد تقديس القديم فهو مثلهم الاعلى في الادب . وكل محاولة للتجديد تلقى هجوما عنيفا منهم لانهم يعتبرونها خروجا على ما تعارفوا عليه من اصالة في الفن ، وابداع في الادب .. غير انهذا الجديد اذا استطاع ان يركز دعائمه على اسس فنية وطيدة ، ويثب وثبة قوية يظفر بها الى الابداع ، فتحوا مغاليق عيونهم ، واقبلوا عليه ، وتصدو له بالشرح والتعليل ، وهللوا لروعته معجبين . واية ذلك أن الشعر الحديث الذي يقوم على موسيقى التفعيلة يلاقي عنتا كثيرا من النقاد لخروجه عن المالوف فالاستاذ العقاد مثلا ، وهو حامل لواء التجديد ، والداعي اليه في فجر حياته الادبية ، يضيق به ذرعا ، ويتهمه بالعبث ، ويراه نثرا مشعورا او ما شاكل ، ولكن اذا استطاع هذا الفن الوليد ان ينضج ويحلق في سماء الفن ويقبل عليه الناس يتذوقون اطايبه ، ويستمراون نغماته، لا بد ان يسارع النقاد الى الاعتراف به ، وتحليل عناصر الجمال فيه ، والاشادة بروائعه .

وهكذا طبيعة الاشياء ، فالنقاد العرب القدامى كانوا يتاذون بالجديد ، ويثورون به في عنف ، فهم يرون كل خروج عن عمود الشعر صفعة للفن الاصيل ، ولهذا فالشعراء يجب ان ينطبعوا على غرار الشعر القديم ، ويسيروا على هديه حتى تتوفر لهم الاجادة .

ومن هنا جاء جنوح الشعراء المجددين الى القديم، فابو نواس ، وهو الذي حمل لواء التجديد في عصره كان كثيرا ما يهتف بشعر حافل بالالفاظ المهجورة ، يترسم به القديم ، حتى يردع النقاد ويبرهن لهم انه غير عاجز عن محاكاة الاقدمين، بل التفوق عليهم . ومما لا شك فيه ان تجديد ابي نواس واضرابه كان محدودا ، فلم يستطع ان يغير شيئا في نظام القصيدة او يبدع اوزانا جديدة ، او ينقل الشعر الى لون اخر كالتمثيل او القصص والحق ان طبيعة الاشياء كانت تابى عليه هذا ، وانما اقتصر تجديده على وصف مجتمعه وحياته او على الاقل حاول ان يكون صادقا في شعره ليكون منسجما مع عواطفه ، ومع تيار الحضارة في بغداد . فهو ناقد بعيد الغور اوتي يقظة الفن ، وعمق الفكر ، فراى ان الشعر يجب ان يكون مرآة صادقة لحياة الانسان ومجتمعه .

ويبدو لي ان العقل العربي نزاع الى تقديس القديم فهو يرى فيه كل الاستواء والنضج والتفوق . فالشعر الجاهلي كان الصنم الذي يتعبدونه ، فابو عمرو بن العلاء قال لو عاش الاخطل يوما في الجاهلية لما فضلت عليه احدا، وابن الاعرابي كان اذا سمع شعر ابي تمام قال : برئت من العرب اذا كان هذا الشعر عربيا .. وهكذا استيقظنا في مطلع هذا القرن على التاثر بالادب القديم وتقليده . فمحمود سامي البارودي ، وهو ابوالشعر الحديث ، قام تجديده على ارجاع الشعر الى ديباجته العربية الاولى من جزالة في الالفاظ وفحولة في التعبير ، وروعة في الموسيقى حتى ان اخيلة القدماء كانت الامام الذي ياتم به ، وتابعه على هذا شوقي وحافظ وشعراء مدرستهم .

ومن الطبيعي أن يتجدد هذا اللون من الشعر ورأينا جماعة من الادباء الموجودين الذين اساغوا الثقافة الاوروبية وتاثروا بها الى حد بعيد ، قد ثاروا على هذا اللون من الشعر ، ونادوا بالتجديد ، وقامت معركة بين القدماء والمحدثين ، وكان كتاب الديوان الذي اصدره الاستاذان المازني والعقاد احدى ثمرات هذه المعركة ، وحددا فيه منهجيهما في الشعر وطالبا بوحدة القصيدة العضوية ، وان يكون الشعر تعبيرا عن الوجدان . كما ان الدكتور طه حسين اضاء من جانبه معالم الطريق ، وقارع ائمة الادب القديم ، واظهر خطل اسلوبهم

واسفرت هذا المعارك الادبية عن نصر مؤزر للمجددين لان منطق الحياة معهم ، ولا بد ان تنتصر الحياة على كل من يقف في طريقها . غير آن الزمن دار دورته بسرعة ونشات فئة من ادباء الشباب نهجوا طريقا خاصا في الادب ، وراوا اقبال الجمهور عليه ضئيلا لضحالته ، وفقره الذهني ، وجدبه العاطفي ، فسكبوا كل نقمتهم على الادباء الذين تقدموهم ، واتهموهم بالرجعية وانادبهم لا يساير الحياة فهم يحسون من طرف خفي ان هؤلاء الادباء عقبة كاداء في سبيل شهرتهم ، وذيوع ادبهم ، فكانت هذه المحاولة العنيفة التي هاجموا بها ادب من اسموهم القدماء ... وهكذا تجددت المعركة بين القديم والحديث . ومن الطبيعي الا يقف الاقدمون مكتوفي الايدي امام هذا الرشاش المتطاير ، فهاجموا ادب هؤلاء الشبان ، وراوا فيه غثاثة ، وجهلا في الاساليب العربية وعقما في التفكير ، ونفحة ممجوجة لا جدة فيها، ولاحياة

ولا بد لنا ان نتساءل ما مدى تجديد هؤلاء الادباء ؟ فهم يرون انهم جددوا في المضمون ، فجعلوا الادب تعبيرا عن الواقع ، كما انهم طوروا الاسلوب حتى ابتعدوا به الى حد بعيد عن روعة اللغة ونقائها ، واسفوا حتى وصلوا به الى حد الابتذال ، واصبح عند كثير منهم اقرب الى العامية منه الى الاسلوب العربي الصحيح .

ولكن ما قيمة هذه المعارك الادبية ؟ لا شك انها تشحذ الاذهان وتلهب القرائح لابداع فن يساير الحياة . غير ان ما رافقها من عنف وبعد عن الواقعية جعل اثرها ضئيلا لم يفد منها الادب الفائدة المرجوة . واصبحنا في فوضى نضرب

في بيدائها لا نعرف كيف تتسق لنا فكرة صحيحة عن الادب ورسالته في الحياة . والذي أعتقده ان كل هذه المعارك ضرب من العبث ، فلست أرى في الادب قديما او جديدا ..

فالادب اما ان يكون ادبا أو لا يكون شيئا .. وآية ذلك خلود الادب لانه تعبير عن النفس الانسانية ، ومن الطبيعي ان النفس خالدة لم تستطع القرون الطوال ان تغير من طبائعها ، فنحن حتى الان لا نزال نطرب للشعر الجاهلي ، ونساير نزعاته ، ويبهجنا بالوانه ، ويؤثر فينا ونجد فيه متعة فنية قد لا تتوفر لنا في الشعر المعاصر الذي يهتف به اناس عاصرونا ، وعاشوا في مجتمعنا . فالشعراء الجاهليون كانوا صادقين في التعبير عن عواطفهم ، ولهذا كان هذا الشعر خالداً ما دامت الحياة تنبض في الانسان ، وما دامت العواطف تختلج فيه . بل انني اذهب الى ابعد من هذا ، فأزعم لك ان الشعر القديم الذي هزج به الشعراء في طفولة امتهم هو الشعر الحي الباقي الذي نجد فيه مرآة لانفسنا ، نتذوقه بلذة ، ونقبل عليه بشغف لان الشعراء الذين ابدعوه كانوا على الفطرة والسذاجة في الاحساس ، فلم يعرفوا المعين في عواطفهم ، ولم تكن الحياة معقدة لديهم ، بل كانت مكشوفة لهم يقرأون عواطفهم كانها في كتاب مفتوح ، ولهذا صوروا مختلف المشاعر الانسانية التي لا تزال في جوهرها كما هي لم تستطع الايام ان تبلي اصالتها . السنا نجد في شعر هوميروس مختلف العواطف الانسانية الصادقة التي تنتظم الانسان في كل زمان ومكان؟

ان ميدان الادب الانسان ، ومتى استطاع الاديب التعبير في صدق واصالة عن هذا الانسان كان ادبه ممهورا بالخلود . ومن هنا جاءت عالمية الادب ، فنحن نسيغ كل شعر ونتذوقه مهما كان لونه ، فسواء كان شعرا اوروبيا او شرقيا ، فنحن نطرب له ما دام يغرف من ينبوع الانسان ، ويسمو الى الابداع الذي يوفر له روعة باقية تجتاح العصور ، وتمشي مع الزمن ، يجد فيه كل انسان مهجعا لاحلامه . فالانسان صورة تامة عن كل انسان في كل عصر وزمان .

وانني لاذكر ان النقاد الذين هاجموا فيكتور هيغو ، وضاقوا بشعره الذاتي الذي غنى فيه عواطفه، قد اجابهم بكلمة هادئة اتسمت بالخلود ، فقد قال : انه عديم الاحساس ذلك الذي يفكر انني انا غير انت . ومعنى هذا ان فيكتور هيغو عندما غنى الامه وافراحه واحزانه وطموحه قد غنى في نفس الوقت الام واحزان وافراح كل انسان ما دام صادقا في التعبير عن هذه المشاعر . اليس راي فيكتور هيغو صحيحا ؟ انني اراه عين الصواب لاننا لا نزال نطرب لشعره ونتملاه ، ونجد فيه غذاء لروحنا ؛ وفيضا من النور الذي يضيء لنا معالم الطريق ، ويزيدنا معرفة بالحياة لانه في الواقع كان شاعرا عبقريا .

ولهذا ارى ان تقسيم الادب الى مدارس كالكلاسيكية ، والرومانتيكية، والبرناسية، والرمزية ، والواقعية وما شاكلها مسألة لا تحمل معنى كبيرا . صحيح ان بين هذه المدارس الكثير من الفروق ، وصحيح انها تختلف في اتجاهاتها ، ولكنها اخيرا تجري في مصب واحد هو الادب الذي يغذي عواطفنا وافكارنا . وبسبب هذا كان جوتيه يثور على من يصفه بالرومنتيكية لانه يعد نفسه كلاسيكيا . والواقع انه ليس من المهم ان ننتسب الى مدرسة قديمة أو حديثة حتى يتسنى لنا الابداع والاجادة الفنية ، بل المهم ان نبدع ونخلق ادبا يستطيع ان يغالب الزمن ، ويصمد لتياراته الجارفة .

والحق ان القديم والجديد في الادب فكرة هائمة في ضباب صفيق خالية من العمق والقوة لان الجديد سيغدو قديما بعد فينة من الزمن ، واصحاب هذه الفكرة يحددون القديم والجديد بالزمن ، وهو مقياس ناصل ، لان قيمة الادب بما يحويه من عناصر حية ، وعواطف دافقة ، وافكار نيرة . فلست أرى في الادب قديما او جديدا فالمهم عندي ان ينتج الاديب ادبا يتسم بالفنية ، وهو حر في اختيار الطريقة التي يعبر بها عن ادبه ما دمنا نجد في انتاجه قلبا يخفق ، وعقلا يفكر ، واسلوبا جميلا يحمل هذه المشاعر والافكار .

لقد هاجم العقاد شوقيا واتهمه بتقليد القدماء، ومع هذا ظل شعره حيا لقوته وتدفقه وغزارة مشاعره واناقة ديباجته ، وجمال موسيقاه ولا زلنا نردده باعجاب ونهتف به في كل مناسبة . ولم يستطع العقاد وهو الذي تزعم حملة التجديد في عصره ان يسمو الى شاعرية شوقي . ولا نقبل على شعره اقبالنا على شعر شوقي ، لان شاعرية شوقي اغزر ، وروافدها اقوى من روافد شاعرية العقاد . .
ومع هذا فانا من اشد المعجبين بشعر العقاد ، فهو في رايي احد شعراء الوجدان الممتازين في ادبنا العربي لقوة شخصيته ، واعتداده العظيم بها ، وتدفق مشاعره . . .
ولكنني مع تذوقي لشعر العقاد ، لا استطيع الا ان اعجب بشوقي ، واجد في شعره غذاء لوجداني .. وكذلك لم تستطع حملات شبان الادب على العقاد واتهامه بالقديم ان تؤثر في اعجابي بادبه الفياض الذي كلما تقدم به الزمن زاد جدة وقوة .

واخلص من هذا الى القول ان المهم عندي ان ينتج الاديب ادبا حيا . وهو حر في الطريقة التي يعبر بها عن عواطفه وافكاره ما دام يستطيع ان يهدهد عواطفنا ، ويغذي عقولنا ، لان الاساس في الفن هو الابداع ، فمتى أبدع الاديب اتسم ادبه بالخلود ، وعاش في صميمنا ، ووجدنا فيه غذاء لارواحنا الظمئة الى الخير والجمال . .
وعلى هذا ، فسواء لدي انظم الشاعر على النهج القديم ، وتقيد بالوزن والقافية أم نظم على الطريقة الحديثة التي يحمل لواءها بعض شباب الشعراء ، فالمهم في هذا كله ان يبدع الشعراء انغاما قوية تؤثر فينا ، وتنقلنا الى عالم

حديث شمعة

ذات مساء من الشتاء .. والليل مستوحش الضياء
سهرت في غرفتي الصغيرة تلفني هداة السريرة
اسامر الصمت والشجون واجتلي روعة السكون
الى جوار السرير شمعة تذوب في حرقة ولوعة
في ضوئها شاحب اصفرار يلقي ظلالا على الجدار !
كانها من خلال رقصة تروي على مسمعي قصة
وهزني الشوق والفضول فرحت اصغي لما تقول
قالت : أنا عاشق متيم والعشق ان عف ليس يرحم
افنيت في لوعتي شبابي وعشت اقتات من عذابي
جريرتي أن وهبت حبي من لم يكن يستحق قلبي
والحب مثل الحياة يوهب لكنه سالب ... وموجب !
شطر ينادي فيستجيب لصوته شطره القريب
ومهجة جملت لمهجة نصيبها من اسى وبهجة
لكنني قد عشقت وحدي حملت عبء الغرام وحدي
ذرفت دمعا لقلتين قاسيت آلام مهجتين
بفرحة الحب لم امتع فكل ما قد عرفت : ادمع !
وكانت الشعلة اللعوب قد ابطلت رقصها الطروب
وشاع في لونها الشحوب كانها مهجة تذوب
وانتفضت شمعتي الصغيرة تلفظ انفاسها الاخيرة

القاهرة عفيفي محمود

حافل بالضياء ، موار بالحياة .

ان ميدان الادب فياح الافاق وهو حلبة واسعة لفحول الفنانين من مختلف الالوان ، والشيء الاساسي ان تكون الموهبة الفنية وافرة في هذا العمل الادبي يزجيه لنا الاديب ... وفات الكثير من النقاد هذه الحقيقة ، وتعصبوا لارائهم ولم يابهوا للاصالة الفنية التي هي حرة في التعبير عن ذاتيتها في شتى الاساليب، ومختلف التيارات والتنويع في الاساليب يغني الادب ، ويزيده قوة ، ويتيح له اغذية جديدة تمده بالروعة الفنية التي تاسرنا وتهزنا . فالقديم والحديث في الادب ضرب من الايهام لا معنى له فشوقي خالد لا لانه قديم أو جديد بل لانه شاعر موهوب وطرفة بن العبد خالد لانه عبقري ، وابو نواس لا يستطيع الزمن ان يناله لا لانه جدد في الشعر ، بل لانه قبل كل شيء شاعر التمعت فيه العبقرية . فالركيزة الاساسية في الادب هي الخلق والابداع ، فمتى استطاع الاديب ان ينأى عن التقليد ، ويكون له ذاتية خاصة ، ويمتاز باسلوب مستقل يحمل طابعه ، وتوفرت له الموهبة الاصيلة ، فمما لا شك فيه ان ادبه سيظل حيا ما ظلت الانسانية تحس بحاجتها الى هذا الغذاء الفني الذي يجمل حياتها، ويعالج مشاكلها ، وينير طريقها في سيرها الدائم نحو عالم افضل يرتع به الناس في بهجة وطمأنينة .

ولنفتح النوافذ لكل جديد ، ولنهلل لكل قديم ، لانه ميزان الادب الصحيح في ذاتيته ، لا في قديمه او جديده .

حلب محمد حاج حسين

ست أغان للضياع

النبة

في صحارى الصمت والنسيان والعقم الجديب
رحت اسعى امضغ الايام والعمر الرتيب
رقص الجدب على تلك الدروب
ومضى يقتات من زهو الاماني
وحشه الضاري الرهيب
فيغيم الضوء في عيني ويربد المغيب
آه من عمري الرتيب

عابرة

وخطرت
سكرت من وقع خطواتك احداق الدروب
سكرة تحسو من السحر العجيب
غير قلبي ... لم تكن تنويه نفحات الطيوب
وانزوى قلبي كعصفور طريد
هزه الاعصار فارتاح والقته الرياح
في خرائب
ينعق البوم بها كل صباح
آه لو تدرين ما معنى الضياع
انت لو تدرين ما جزت الى قلبي مفازات المسكينة

رائدة

واتيت
تزرعين الدرب ضحكات طروبة
وترودين الى قلبي مفازات رهيبة
خلفها سمرت قلبي
في قبور الصمت والنسيان قلبي
قابع في قفر دنياي العجيبة
بذرة تسقط من طير جريح
وبواريها الثرى فهي دفينة
والغمام السمح لا يلقي على الارض التحية
فتظل البذرة الصفراء في الحقل سجينة
لا ربيع ينفخ الروح بها عشبا نديا
ويصوغ البعث فيها ثمرا رطبا جنيا
ملها حتى الفناء
فمضت في تربة العمر رهينة

صراع

يا ضياع
ايها التنين يا جلاد قلبي
لست يا عبد الضغينة
لست تموزا جديدا او اله
تصرع النور بعينيه وتجتث الحياة
انا انسان حقير
انا لاعشتار تبكيني ولا نهر يمور
بدمائي كل عام
انا من هذا الرغام
فترفق بي ودعني
ايها الوحش المغير

المحارة والحلم الذهبي

ويح قلبي لا
ايظل العمر مشدودا الى صخرة صمتي ؟
كمحارة
ذاب وهاج البريق
والسنى في مقلتيها
قبعت في قعر بحر الموت والصمت السحيق
تحلم الدهر بصياد قدير
يحسن الغوص باعماق البحور
ويفض الختم عنها
مثلما تحلم بالغيث حقول عاقرات
يزرع الخصب باعماق التراب
فتناغيها الحياة ...
هكذا قلبي الكسير
اتقوين على تحطيم ابراج الفراغ
في متاهات الضمير ؟
ربما تقوين يا طفلي الصغير

يوسف العصر الاخير

ربما في رحلة عبر بحار عسلية
حلمت فيها قلوعي منذ فجر الابدية
ربما يهدأ اعصار لعين
فيؤوب التائه الافاق للشط الامين
ربما ... هل تسمعين ؟
فانثري من قلبك المعطاء اطياب الحنين
واهمسي في حرفك المشبوب آيات المحبة
ربما يهزم في ذاتي الانين
سوف اخفي حرفك المشبوب في طيات قلبي
واشم الطيب في وشي الحروف
وتزاويق السطور
ربما يجلو العبير
مقلة القلب الكسير
مثلما ارتد ليعقوب البصر
عندما عاد بنوه بالقميص
ربما ... يا يوسف العصر الاخير

لبنان ـ عيترون   فضل الامين

الشعر وبيئته

بقلم عيسى ميخائيل سابا

تقوم في هذه الآونة حركة حول الشعر ، ولكل راي فيه ، فمنهم من يرى لزوم التقيد بالوزن والقافية، وآخرون يرون ان الخروج عن ذلك من دواعي التجديد . فمن هو المحق ؟ ومن هو اقرب الى الصواب ؟ وفئة اخرى ترى ان الشعر كلام لطيف وصورة تتراءى العين فلا تفتر فيعمد الى رصف كلمات واذافة الوان بكلمات رقيقة مهلهلة ، لا تمت الى وزن ولا جرس فيها ولا نغمة موسيقية ، زاعما ان ذلك تجديد في الادب وابداع في الفن .

وفريق يرى برأي الاندلسيين الذين تفلتوا من القيود العروضية ونظموا الموشحات التي اصبحت فنا جديدا في الادب العربي ، وفرضت نفسها عليه ، فافسح لها المجال في صلبه واستساغها ولما يزل يستلذها ويطرس على منوالها.

وان نحن اردنا ان نؤرخ الشعر منذ اهتداء الانسان اليه ، رجعنا بخفي حنين ، او كان مثلنا مثل من يحصد الهواء ، او يقبض على الماء ، لان الرواة والمؤرخين لم يدونوا في مجاميعهم شيئا عن اصل الشعر ، ولم يشيروا اليه ، وليس ذلك مقصورا على اللغة العربية وحدها بل يتناول لغات العالم اجمع ، لان الغناء وهو اصل الشعر قد طرأ على كل امة من الامم ، يوم نظرت الى جمال الطبيعة الفياضة بالحسن ، المليئة بالجمال ، الفواحة باطايب النفحات ورقيق النسمات ، تأثرت عيونها وطربت لها ، فانطلق لسانها ينشد ما رق من الكلام نغمات استلذها وارتاح اليها خاطره ، واطمأنت اليها نفسه ، فكان الشعر ، والشعر عندي مدين في وجوده الى « الهيكل » لان الانسان تقربا الى ما تعبد له ، نظم اناشيد كانت تبعث في نفسه الخشوع والرهبة فكان ذلك مبدأ للشعر .

والشعر العربي الموزون المقفى لم يكن ابن ساعته بل تعاقب عليه دهر طويل قبل ان يصل الى ما هو عليه ، من حسن الرصف وعذوبة النغم وجمال الوزن ، فهل اهتدى اليه الانسان من صفير الريح وتساقط الامطار وخبب الخيل ، وهدير المياه المتدفقة ، او مطارق القصارين كما يذهب غير واحد ، من ان الخليل بن احمد اهتدى الى وضع ابحر العروض من قع المطارق وهو في سوق القصارين .

على ان السيوطي يذهب في مزهره نقلا عن ابن فارس وغيره ، من ان ابحر العروض كانت قديمة ، ولكنها فقدت واهتدى اليها ذلك الامام فازاح الستار عنها ، على ان الامر لايدعو الى بحث ولا يحتاج الى تحقيق اذ قد عرفنا ان الشعر نغم ، والنغم هبة البشرية منذ نشاتها حتى يوم الناس هذا ، وهو امر طبيعي ، او شعور نفسي، يتغنى به المرء في وحدته او في حالة من احوال النفس التي ينتابها الفرح والحزن ، وتستفزها نشوة الخمرة وجمال المنظر . والشعر ولا ريب وحي المراة وهي اصل من اصول الادب ، ولولاها لما كان شعر ولا نغم ولما كنا نسمع قول ابي فراس وهو في الاسر :

اراك عصي الدمع شيمتك الصبر	اما للهوى نهي عليك ولا امر

ومنهـــا

تسائلني من انت وهي عليمة	وهل بفتى مثلي على حاله نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى	قتيلك ، قالت : ايهم فهم كثر
فقلت لها : لو شئت لم تتعنتي	ولم تسألي عني وعندك بي خبر
فقالت: لقد ازرى بك الدهر بعدنا	فقلت معاذ الله ، بل انت لا الدهر
وايقنت ان لاعز بعدي لعاشق	وان يدي مما علقت به صفر

ومرد ذلك كله الى الشعور الجنسي كما اثبت ذلك غير واحد من اساطين علم النفس ، امثال زعيمهم « فرويد » وقد راوا انه العامل الاول في تقدم الحضارة ورقي العامل المدرك .

ويرى اخرون ، ان المراة قصيدة ابدية تطمئن اليها النفس ويرتاح لها الخاطر ، وهذا غير مقصور على الانسان بل يشاركه به مطلق الحيوان والنبات . ولولا ذلك لما راينا صيفا وخريفا وشتاء وربيعا .

فالشعر اذا هو وحي النفس بما يطرا عليها ، والشاعر ان يصور احساسه بما يعبر عنه ، سواء في اتباع الوزن المعروف والقافية او في الاعتماد على النغم من دونها، والنغم اصل له ، وقد انشد حسان :

تغن في كل بيت انت قائله	ان الغناء لهذا الفن مضمار

والكلام الذي يفقد النغم او اللحن لا يعد شعرا ، مهما حاول صاحبه ان يتفلسف ويتمنطق ، والكلام ذو النغم ، ان فقد المعنى كان هراء، واللحن الجميل نسمعه في قرارة نفوسنا ، في سقسقة الماء وصفير الهواء وحفيف الاوراق واغاريد الطيور وتنوع المناظر ، ومن اطل بناظره صباحا او عند الغروب على جبل صنين ، وراى الوهاد والاكام والغابات المنتشرة في ثنايا البيوت ذات الاسطحة القرميدية لهتف فورا : لبنان شعر والروابي قافية ، وقافيته ليست على وتيرة واحدة ، بل هي متنوعة المناظر مختلفة التكوين ، وهذا ما يزيدها جمالا ويضمنها اسرارا، ويملأ العين دهشة والخاطر حيرة :

تحير الحسن في رباه وبات	الحسن فيه محير الانحاء

وبعد هذا الذي بيناه يصعب علينا ان نبحث تاريخ الشعر وهو وحي الخاطر ، بغير ان نبحث الجمال ، فاذا عرفنا الجمال وتاريخه عرفنا الشعر وتاريخه ، والجميل جميل في كل مكان وكل زمان وكيفما وقع :

انـدحـــار

الليل في المدينة
اغنية حزينة
اغنية جريحة الاباء مستكينة
ليس لها بداية ولا ختام
مقاطع الكلام
ضــاع وقعهــا
واختصر النغم
لم يبق منه غير بحة الالم
وجوه اصدقائي المتعبات رجعها
اينها الوجوه المتعبات الجامدة
قصتنا طويلة
قصتنا قديمة
والدرب مثلنا ...
برم

الناس عبرالشارع المطلوب احزان تسير
انصــاب وهم آبقة
القيد في ارجلهم يشهق . يومي للمصير
الناس عين محدقة
عين من البلور
تصلبت على زجاج الدور
لكنها لا تبصر الضياء
تحجرت جفونها وانزرعت بدون نور
الناس والليل الكئيب في مدينتي عياء
عقد من الهموم منتثر

مســافرون ـ دائما ـ ودربهم عسر
تخثر الاحســاس في نفوسهم
تخثر الغباء
فانفحوا على اديم الشارع العراء

مثلي مدينتي ..والليل فيهاتائه ضرير
مثلي كسير
يبان نحن ياليل المدينة الكبير
نعبر جسر رحلة مجهولة البداية
مجهولة النهاية
مجهولة المصير
والناس مثلنا .. ياليل .. كلهم
حقل من الجفاف
قطيع ذؤبان ومثله خراف
كثبان رمل عابثتها الريح فوق منحدر
تجمعت وانفصلت واخذت تدور
ما خلفت سوى اثر

الليل في المدينة الكبيرة اندحار
يوم شتائي الشروق والغروب دون نار
وجبهة مكدودة . وضحكة مرفهة
وعرقا يسيل ماء النهر يا ليل المدينــة
وانفســا ممزقات مكرهه
وادمعا ودفن آهات حزينة

دمشق — توفيق صرداوي

شيء به فتن الورى وهو الـذي يدعى الجمال ولست ادري ماهو

وعلى هذا نقول : ان لكل عصر شعرا ، ولكل جيــل من الناس ذوقا ، ولكل إمة من الامم اصطلاح جمال تتبينه في نفســها ، ولا تقدر ان تعبر عنه الا بوحي الخاطر ، امــا نغما واماكلاما يوافق طبيعتها . والجمال الافريقي غير الجمال الاسيوي ، والجمال الاسيوي غير الجمال الاوروبي ، وقل الامر نفســه عن الانغام ، فانها تتفاوت بتفاوت الاقليــم والمناخ وهكذا الشعر .

وعلى ذلك ، ارى انه من الواجب ان يكون للبنان شعر خاص به يمثل طبيعة جبله وتنوع آكامه ووهاده ، ومجرى ينابيعه ، وتبدل فصوله، وتغير انغامه ، والامة الحيــة تستمد ادبها من طبيعة بلادها واقليمها وعاداتها ، لا من طبيعة اخرى. فادب الصحراء غير ادب الجبل بصخوره وغاباته وحدائقه وانهاره ، والامة التي لا يمثلها ادبها هي امة محيرة لا تعرف لها مستقرا ولا هدفا ؛ فهي امــة « امعه » تتقاذفها الارواح وتميل مع الزمن ، فلا هــي شرقية ولا هي غربية ، ولبنان في طبيعة مناخه يجب ان يكون له شعر وادب خاص به، عليه طابع منحدراته وجلال روعاته في تنوع فصوله وشموخ اشجاره وتدفق مياهــه، جلال صيفه الضاحك

عيسى ميخائيل سابا

شهور السنة في امثال اللبنانيين

بقلم شفيق طباره

امدت شهور السنة لغة العوام بامثال اختلفت باختلاف مناخات لبنان ومواقعه الطبيعية من ساحل وجبال وسهول اما الساحل فيسوده مناخ البحر الابيض المتوسط واهم خصائصه انه معتدل الحرارة ثابت الرطوبة حتى في فصل الصيف ، وامطاره قصيرة ولكنها غزيرة اما المنطقةالجبلية وخصوصا اعالي الجبال فتتميز بشتاء قارس وثلوج غزيرة بينما تتميز السهول الداخلية بجفاف في الهواء وقلةالامطار وعدم انتظامها

كانون اول وكانون الثاني

الكانون في اللغة البابلية (فصل الشتاء) وفي السريانية (الموقد) وفي العربية (الرجل الثقيل) وقديما قالت العرب في امثالها : اثقل من كانون للجليس اذا طال جلوسه وقيل ان هذا الشهر نعت بالثقيل لان الاعمال تتعطل فيه وتسوء حال الفقراء .

وفي الواحد والعشرين من كانون اول يبدأ فصل الشتاء فتهطل الامطار وتتعرى الاشجار من الورق وتبدو بمنظر كئيب كراس الاصلع وملساء كوجه الامرد فيقولون (كانون الاجرد . بيخلي الشجر امرد) واجرد اي املس ويقال ارض جرداء ، اذا اكل نباتها . ويقولون (كانون يحرق بريم الشجر ما عدا السنديان والصنوبر والزيتون) و (كل الاشجار تتعرى بكانون ماعدا السنديان والصنوبر والزيتون) والبريم في اللغة الفصحى الخيط او الحبل وكل ما يبرم ، وفي لغة العوام (حرق فلان بريم فلان) اي اضعفه واذله . اما السنديان والصنوبر والزيتون فهي من الاشجار الدائمة الخضرة .

ويشتد البرد بين عيد الميلاد وعيد الغطاس وتزداد الامطار ويكثر الصقيع وتتساقط الثلوج وتهب الرياح الشمالية وتجمد المياه في المناطق الجبلية لذلك ينصح العوام بان يلزم الناس بيوتهم ويتجنبوا السفر لئلا يتعرضوا للاهوال الطبيعية ويقولون (بين الغطاس والميلادي اياك تسافر يا غاذي) والغطاس عيد يقع في السادس من كانون ثاني وهو عند النصارى عيد الظهور الالهي . أما عيد الميلاد فيقع في الخامس والعشرين من كانون الاول وهو تذكار ميلاد السيد المسيح . ومن عادتهم في هذا العيد ان يضعوا في بيوتهم شجرة عيد الميلاد يزينوها بالانوار وباكياس النقل والحلوى ليقدم منها للمهنئين .

وتقضي العادة عندهم في هذه المناسبة بتقديم الهدايا وتبادلها واعطاء الاولاد (البسترينة) وهي هدية قيل انها كانت تقدم لالهة القوة عند قدماء الرومانيين تبركا بالسنة الجديدة وتشتق الكلمة من اللاتينية سترينا

وعيد الميلاد وعيد راس السنة من الايام الممتازةالتي يحتفل بها اللبنانيون ويقيمون فيها سهرآتهم حول المواقد ويحيونها بالسمر ولعب الورق وتتناول احاديثهم القصص واعمال البطولات واكثرها رواجا قصة دياب وابو زيد الهلالي والزير وعنتر . ومن عادتهم ان يتجادلوا عند سماعها ويتخاصموا وينقسموا الى حزبين ومما يروىان هذه القصص انتقلت الى المهجر مع قافلة المهاجرين اللبنانيين الاولين ومعهم انتقل التعصب لاحد البطلين . وخبرني احد المغتربين عن اللبنانيين في ولاية فرجينيا أن البوليس الامريكي تدخل مرة ليصلح بين جماعة منهم . ولما حقق معهم واستفسر عن سبب خلافهم ومشادتهم عاد وانقسم البوليس على نفسه وتحزب بعض افراده لابوزيد والاخرين لدياب ...

ومن امثال اللبنانيين (بين المواليد والقلندس عند جارك لا تقرفص وان قرفصت لاتبات يصبح الثلج عليك قامات) المواليد عيد الميلاد والقلندس عيد راس السنة والقامات جمع قامة وهي وحدة قياس تعتمدها العامة لقياس العمق وتقدر بباع اي نحو ذراعين ومن امثالهم (من المولود للعمود بتوقف الماء عمود) ويقصدون بذلك ان المياه تجمد . والمولود عيد الميلاد والمعمود اي العماد او التعميد وهو من شعائر المسيحية وهي فريضة وضعها السيد المسيح .

ويقولون (كانون الثاني الاصم اقعد في بيتك وانظم) ويروى (بكانون الاصم اقعد في بيتك واحتم) انظم اي تدثر تفاديا للبرد . واحتم من الحماوة اي الزم الدفء ومثله قولهم (بكانون كثر النار في الكانون) و (بكانون كن) و (كانون كن وكنكنة) كن من فعل كن وفي الفصحى كن الشيء اي ستره وغطاه واخفاه وصانه واكتنت المراة اي غطت وجهها وسترته حياء من الناس . والكنكنة في لغة العوام التزام الهدوء والراحة والفرفشة ومثله قولهم (بكانون كن ببيتك وكثر حطبك وزيتك) اي اقعد في بيتك قريبا مما ادخرته من المؤن لان في كانون ثاني تهبالرياح الشمالية الباردة الضارة .

ويقولون (الشتا ضيق ولو كان فرج) وهذا ماخوذ من الفصحى (الشتا شدة ولو رخاء) رواه الميداني وذلك الجدب الذي يصيب الارض ولقلة الاعمال ووقف الحركة. ومثله قولهم (لو كان للصيف ام كانت تبكي عليه) و (الشتا يعمي قلب الانسان) ولهذا فانهم يحثون علىمد يد المساعدة للفقراء والمساكين الذين تسوء حالهم في هذا الفصل ويقولون (في كانون كن وعلى الفقير حن) وكان العرب يمدحون من يطعم الفقراء في هذا الفصل ويصفونه بقاتل الشتوات ...

وفي امثال اللبنانيين (بين المواليد والدنوح عندجارك

لا تروح وان رحت خد زوادتك معك) الدنوح اي عيد الغطاس الذي يقع في السادس من كانون الثاني. والزوادة ما يصحبه المسافر من زاد للاكل . ويقولون (رياح كانون شيبت النسور في الجو) وذلك بسبب ما تعانيه من اهوال الاعاصير الهوج واخطارها .

وفي ليالي الشتاء تكفهر السماء وتتلبد بالغيوم وتصبح حالكة السواد فيقولون (عتمة كانون اذا مد الانسان فيها اصبعه لا يراها) و (عتمة كانون ما يعرف فيها الديب مرقده) اي لا يهتدي اليه بسبب الظلام الحالك. ويتناقل العامة خرافة محلية بقولهم (ان الذئب والفرس تناظرا في ليالي كانون في ايهما احد بصرا فقال الذئب : رايت شعرة سوداء بارض شحار في عتمة كانون من مسافة اربع ساعات !) وقالت الفرس : رايت شعرة بيضاء في صحن لبن على قوزة ثلج في قمرة تشرين) ! وارض الشحار اي الرملية والقوزة اي الكومة . وفي امثالهم (ما في انقى من قمرة تشرين ولا اظلم من عتمة كانون) لا اظلم اي اشد ظلاما ويقولون (بعيد البربارة بياخذ النهار من الليل نطة فارة) وهذا قول طريف يطلق للتعبير عن قصر نهارات كانون وطول لياليه ويقع عيد البربارة في الرابع من كانون اول ومن عادة الاولاد وبعض الشبان في ليلة هذا العيد انهم يطوفون على البيوت حاملين الهراوات ملثمين ومقنعين بوجوه مستعارة ومتنكرين بازياء غريبة وينشدون اناشيد هزلية كقولهم :

هيلجي بربارة	والقمح بالكوارة
هيلجي هيلجينا	ايش ماكان عندك عطينا
شيخة فوق شيخة	صاحبة البيت مليحة
اركيلة فوق اركيلة	صاحبة البيت زنكيلة
بلاطة فوق بلاطة	صاحبة البيت خراطة
باب فوق باب	الله يرد الغياب
كيس فوق كيس	الله يبعتلكم عريس

وبربارة عذراء يكرمها المسيحيون ويقولون انها استشهدت حوالي سنة ٢٣٥ م في نيقو ميديا وهي مدينة قديمة في اسيا الصغرى تسمى في يومنا (ازميت) ومن اخبارها انها انصرفت منذ طراوة الصبا الى النسك وعبادة الله بينما كان والدها يعبد الاوثان فخرجت هاربة من ظلمه وجبروته فاوفد بعض جنوده يتعقبون اثرها متنكرين بازياء غريبة حتى لا يرتاب احد في امرهم فعثروا عليها واعادوها الى والدها الذي ما راها حتى ضربها بحد السيف فقتلها ونجاة انزل الله عليه صاعقة اهلكته ولهذا تستغيث العامة بالقديسة بربارة دفعا لاخطار الزوابع كذلك اختار رجال المدفعية بربارة من بين القديسات تكون شفيعتهم : فالمدفع يعد صاعقة الحرب .

وفي هذا الشهر تنفجر عادة الينابيع في جميع انحاء لبنان ويقولون (في عيد البربارة بيطلع الماء من وكر الفارة) اي بكثرة . ويستدلون من الرعد الذي يحدث في كانون على تساقط الثلج في شباط ويقولون (كل رعدة بكانون ثلج في شباط) وكذلك عندهم الهواء الشرقي (الشلوق) في كانون يعلن اقتراب ثلج غزير وفي ذلك يقولون (الشرقي في كوانين ثلج) وهنا لا بد من ان نذكر ان لبنان هو البلد الوحيد في الشرق الادنى الذي يرى فيه المرء حقول الثلج الواسعة وبفضل هذه الميزة تطورت الرياضة الشتوية واصبح هواة التزحلق يرتادون مراكز الثلج من كانون اول الى نهاية ايار .

ويعد شهر كانون اول من اكثر شهور السنة نشاطا وحركة في السواحل اللبنانية لان فيه يحرث المزارعون ارض بساتينهم ويقلمون الاشجار والكروم ويواظبون على بذر الخضار ويقولون (احسن زراعة في القطاعة) اي قطاعة الميلاد من الثالث عشر الى الرابع والعشرين من كانون اول ، ذلك لان الفلاح اللبناني عرف بالاختبار وبما تعلمه من اسلافه ان اول الشتاء هو الوقت الاصلح لغرس نصوب الاشجار لان غزارة المطر تنشط الارض فالنصوب التي تغرس في اول الشتاء تنمو اسرع من النصوب التي تغرس في اخره وفي ذلك يقولون (نصبة كانون ثاني بسنة بتصير ثاني) و (ونصبة كانون اول خير من نصبة عام اول) ومثله قولهم (كانون فحل الشتا) و (كانون فحل الارض)

والتنبؤ بالاحوال الجوية قبل موعدها يعتقد فريق من اللبنانيين ان قوس القزح اذا ظهر في المساء كان دليلا على ان الجو سيكون باردا في الليل وان امطارا غزيرة ستسقط في اليوم التالي . وحينما يظهر في الصباح من الشرق الى الغرب تكون الاحوال الجوية في ذلك النهار حسنة عادية . ويقولون (اذا انتصب قوس القزح من عشية دبر لك قرنة دفية واذا انتصب من على بكره روح العب في النكرة واذا انتصب شرق وغرب نام على الدرب) والنكرة لعبة تمارس في الهواء الطلق وتتطلب ارضا يابسة وطقسا جميلا و (على بكرة) اي في الصباح الباكر ، ويقولون (اذا انتصب قوس القزح قبله وشمال فك الفدان واشتال) اي ان هذا دليل على قرب سقوط المطر لذلك ينصحون بعدم ممارسة الاعمال الزراعية .

ويقولون (دخان يعمي ولا برد يضني) واصل المثل ان فلاحا عاد الى بيته في المساء وهو يرتجف من شدة البرد فراى نار الموقد مطفاة فانب زوجته على ذلك فقالت له : ان حطبنا ما زال اخضرا واني لم اوقده في الموقد حتى لا يملا دخانه البيت . فقال لها : دخان يعمي ولا برد يضني وذهب قوله مثلا ويضرب لمن يختار اهون الشرين .

ويقولون (الفحمة ولا اللحمة) اي الافضل ان يكون في البيت فحم يتدفأ به المرء لان اللحم يمكن الاستغناء عنه بغيره من الاطعمة . ويقولون (حر الصيف ولا بردانتنا)

و (النار فاكهة الشتا والجوخ ملبوس الفتى) لان فاكهة في هذا الفصل ومثله قولهم (فواكه كانون قرامي مخلوطة بسيكون) القرامي نبات كالدلب يستعمل يابسا للوقود والسيكون ورق الصنوبر اليابس وذلك لان رغبة الناس في الاصطلاء في الشتاء لا تقل عن رغبتهم في الفاكهة صيفا . وفي ذلك قال الشاعر :

النار فاكهة الشتا فمن — حرم الفواكه شاتيا فليصطل
ان الفواكه في الشتاء شهية — والنار للمقرور اشهى مأكل

شبـــاط

هو (شباط) في اللغة البابلية ويعني كما في السريانية الجلد والضرب بالسياط . وفي اللغة الدارجة بلبنان شبط البيت بمعنى كنسه وجعله نظيفا . والمشباط ضرب من المكانس . ويعد هذا الشهر من اشد اشهر الشتاء بردا واغزرها مطرا . واعصفها هواء واكثرها ثلجا .

ومن اساطير اللبنانيين اسطورة طريفة تصور شباط رجلا من اهل الظرف والدعابة مع تقلب في الراي وكره العجائز . وهذه الاسطورة ذات علاقة بمعتقد الفينيقيين الذين الهوا قوى الطبيعة وحسبوا الشتاء رمز الموت كما حسبوا الربيع رمز الحياة . وهناك من ينسبها الى ايام برد العجوز المعروفة عند العرب وتسمى المستقرضات وهي سبعة اربعة منها في اخر شباط وثلاثة في اول اذار ويزعمون ان عجوزا دردبيسا تدثرت بكل ثقيل لتامن غدر البرد الشديد فاضمر شباط لها الكراهية والبغضاء ولما صار اليه الحكم في الطبيعة سلط على الارض ريحا صرصرا عاتية اثارت البر والبحر واوشكت ان تقضي على كل ذي حياة . اما العجوز فراحت تضرم نارا وتستدفيء الى ان بلغ الشهر عقده الثالث فتنفست الصعداء وهتفت قائلة (مضى شباط وبقفاه مخباط) وكأنما أثر في شباط مقال العجوز فنوى ان يغتالها فانطلق من فوره الى اذار وطلب اليه ان يقرضه مددا ثلاثة ايام شديدة البرد وقال له (يا اذار يا ابن عمي ثلاثة ايام منك واربعة مني لاجعل العجوز توقد دولابها وتضع راسها بين ركابها) ويروى (لاهلك العجوز وبنتها واشوفها عاقبة عنتها) فاسعفه اذار ومضى شباط يصب على راس العجوز الارزاء طيلة ايام المستقرضات السبع ولما استنفدت البائسة ما عندها من الحطب هرعت الى الدولاب (وهو من الادوات اليدوية لحل الحرير وتحويل الشرانق الى خيوط وكان يستعمل قديما في ازدهار موسم الحرير وكان يومئذ لا يخلو منه بيت من بيوت الفلاحين) وطرحته في المدفاة واذ نفذ كل ما عندها من الوقود ماتت لساعتها من الزمهرير وفاز شباط الخبيث وكتب له النصر على العجوز ولهذا نرى اكثر الطاعنين من الجنسين يهابون شباط ويقولون (شباط عدو العجائز)

ويروي بعضهم ان عجوزا كان لها سبعة بنين سألتهم ان يزوجوها فقالوا لها : ابرزي للهواء سبع ليال حتى نزوجك ففعلت والزمان شتاء فهلكت بردا في اليوم الثامن ومنذاك اطلق على هذه الايام السبع (ايام العجوز)

ويقولون (بالمستقرضات عند جارك لا تبات) وذلك بسبب البرد القارس وسقوط الثلوج ومثله قولهم (لاتقول خلصت الشتوية حتى تخلص المستقرضات المنكية) والمنكية من النكاية اي القاهرة و (مالك طرش يقوم الابعد مستقرضات الروم) الطرش القطيع من الماعز او الغنم وحسب التقويم الارثوذكسي تاتي مستقرضات الروم بعد ثلاثة عشر يوما من التقويم اللاتيني .

ويقولون (مثل شباط ما على كلامه رباط) ويضرب للمتلون لا يثبت على حال تشبها بتقلب الاحوال الجوية في هذا الشهر . ويقولون (غيم شباط كل ساعة برأي) و (امش على غيم كانون ولا تمشي على غيم شباط) و (مثل شباط يعير ويستعير وبفضل ناقص) ويضرب للرجل لتوانيه في السعي وشبه بشباط لانه على زعمهم يستعير برده من اذار ويظل اقصر الشهور . فايام هذا الشهر كما

هو معلوم تسعة وعشرون يوما في السنة الكبيسة وثماني وعشرون يوما في سواها .

ويصف اللبنانيون شباط بالغدر فيقولون (راح شباط الغدار واجا اذار الهدار) وذلك لاختلاف الاحوال الجوية فيه . ولذا فهو لا يوحي الثقة ولا يمكن للمسافرين ان يركنوا اليه . والهدار من هدر ويقصدون هدير الزوابع الذي يكثر في هذا الشهر

ويقولون (شباط ولو شبط ولو لبط ريحة الصيف فيه) لان العواصف قد تهدا في بعض الايام من هذا الشهر وتنقشع السحب ويصفو اديم السماء وتنتشر الحرارة وتشتد حرارة الشمس وتذكرهم باشعة شمس الصيف الحارة . وهذا مثل قولهم (شمس شباط تضرب الراس بالمخباط) و (شباط غيمة وهواه احسن من شمسه وشتاه) ويروى (شباط ثلجه وشتاه خير من شمسه وهواه) و (شمس الربيع بتسر وشمس الصيف بتحمر وشمس الخريف بتهر وشمس الشتا بتضر) بتسر اي تبعث على السرور وبتحر اي ذات اشعة حارة وتبعث على الحرارة وبتهز اي تسقط ورق الشجر وبتضر اي تسبب الضرر وذلك يعني ان اشعة الشمس تنفع وتضر ولا ريب ان الشمس هي النبع الذي نستقي منه الحياة ونستمد منه الصحة وهي ايضا اذا أسرف المرء في التعرض لها كانت مصدرا لكثير من الامراض الجلدية وغيرها. ولبنان يمتاز بشمسه الساطعة انما الافراط في تعريض الجسم لاشعتها دون تحفظ يعرضه للامراض . وفي ذلك قالت العامة (شمس شباط لكنتي وشمس آذار لبنتي وشمس نيسان الي ولشيبتي) وهذه مقالة عجوز تمنت لكنتها التي تبغضها شمس شباط لتضرها بينما تمنت لابنتها شمس اذار لانها لا تضر اما شمس نيسان النافعة فقد تمنتها لنفسها ويضرب المثل للاناني وخلاف ذلك يقولون (شهر اللي ما فيه حرف شين شمسو مابتضر) فالاشهر التي يرد حرف شين في اسمائها هي شباط وتشرين اول وتشرين ثاني .

ويقولون (في ٣٠ شباط) ويضرب للشيء لا يحدث ابدا . ويتطير العوام من السنة الكبيس ويزعمون انها تلحق الاذى بمواشيهم ولذلك ينصحون برعايتها ازيد من سائر السنين . فيقولون (في سنة الكبيس خليك على طروشك حريص) ومثله قولهم (لا تربي الاجدي شباط) لان المعزي تلد صغارها في هذا الشهر فاذا تاخرت الى اذار كان ما تلده ضعيفا هزيلا .

ويقولون (برد شباط يمنع الجراد والقحاط) لان الصقيع الشديد في هذا الشهر يقضي على الديدان والحشرات التي تتلف المزروعات ويؤدي ذلك الى حدوث القحط ولذلك يقولون (الثلج ملح الارض)

ويقولون (شباط شهر القطاط) لان ذكور القطاط تبحث في هذا الشهر عن اناثها فتلد فيه .

ويقولون (سال اذار شباط : كيف فارقتهم يا اخي شباط ؟ فقال : تركتهم صفر مبعجرين على المواقد مقوبزين) صفر مبعجرين اي متورمين ومقوبزين اي جائمين وهذا المثل يعرب عما يقاسي اهل الجبل من شدة البرد في هذا الشهر .

ويقولون (متى مرق عيد بو قلوسي قولوا للمراكب بالبحر دوسي) ويكنون بابي قلوسي القديس مارمارون شفيع الموارنة ويقع عيده في التاسع من شباط والقلوسي القلنسوة ما يضعه الراهب غطاء لراسه . ودوسي من داس اي سيري .

ويقولون (يا ديب يا ديب ! ما هو برد الشديد ؟ قال : عند شروق الشمس اذا كان في جليد) ويضرب في البرد القارس . ويهتف للذئاب التي من عادتها ان تترك الجرود وتظهر في القرى النائية عندما تغمر الثلوج رؤوس الجبال .

ويقولون (الهواء الشمالي يسحب السمك من المقالي) يعني ان الهواء الشمالي البارد يبعد السمك عن الشواطيء ويحرم الصيادين كسب رزقهم كما يحرم الناس قلي السمك .

ويقولون (سعد الدابح فيه الكلب نابح ، وسعد السعود يدب الماء بالعود ويدفي كل مبرود ، وسعد الخبايا يطلع العقارب والصبايا) سعد الدابح المرحلة الاولى من هذا الشهر وتمتد من اليوم الاول الى الثاني عشر منه . وسعد السعود المرحلة الثانية وتمتد من الثالث عشر الى الخامس والعشرين منه وسعد الخبايا اي المرحلة الثالثة وتمتد من التاسع من اذار الى الواحد والعشرين منه .

ويقولون (بعد تكامل الجمار بتدب الماوية في العروق ويزهر اللوز والبرقوق) والجمار من الجمرة وهي عندهم سخونة الجو التي تحدث في بعض السنين في ٧ و ١٤ و ٢١ منه خلافا لما ينتظر في هذا الشهر . ويزعمون ان الاولى تسخن اليابسة والثانية الماء والثالثة الهواء . والماوية اي السائل الذي تتحلل فيه المواد المغذية ويتصاعد في الشجرة فتتغذى به والبرقوق اجاص بري صغير . ومثله قولهم (اليقسما في اول جمرة سم وفي ثاني جمرة دم وفي ثالث جمرة كل واصطم) اليقسما مزيج الثلج والدبس تعود العوام اكله في هذا الشهر وكل واصطم اي كل واسكت .

ويقولون) مثل غيم شباط) و (غمض شباط عينه وفتح شباط عينه) ويضرب في تقلب الاحوال الجوية بين صحو ومطر ولمن لا يستقر على راي واحد .

شفيق طباره

الـفـنـدق

امراة تكنس الممر في هدوء
والحلم المجروح كثديها .. يهتز في هدوء

رائحة الليل على السطوح بقربنا تفوح
في غرف الفندق .. في الجروح

مظلة الاصوات تنكسر في الخارج
مظلة من سعف النخيل
تعبات تلك الصناديق الثقال
في الشاطىء الهزيل مرافىء الرحيل
تقزز الليل شظايا ..
بنية .. صفراء .. ..
ينشق عن جروحها العياء
شظايا ..

من قطع غال القبو
امانيا صغيرة
الغيمة الشريرة
تمطر عند الصحو
جزيرة جزيرة
تنقر سطح البحر

اواه قصر السكر
اذ تحبل الدوالي بالطيور
وتدمع الكروم .. خلف السور
وينضح التراب بالعرق وتنشف الليالي
اواه قصر العنبر
اذ تفرح الجرار با لعصير
وصدا الابواب .. والحرير
في قبونا الاحمر ..
وتشرد العيون في الظلال .
وحول كل خلية
موائدا صفراء عند الزاوية
ينحت فيها العطش
اظافرا من عنبر
اظافرا ملعونة

من عمر المدينة
مدامعا .. مدامعا
ومد هـذا الشارعا
اغنية حزينة

وكسر الصبية
في الغرف المسحورة
اساورا من ذهب
خواتما فضية
عريس عروسة
بكى الحصان الخشبي
واصفرت الجاموسة في الزاوية

والرب يحفر منجم التعب
اذرعة الايام من ذهب
من خشب الجوز اعمدة البنـــوك
والكنيسة
الشمع والصندوق من ذهب
من سكر ولوز شرائح الفريسة

والدود عند مرفا الشتاء
يجمع الغذاء امسية امسية
ويعجن السماء
تميمة في كوز
بقرة تنوء بالكنوز
تنقر باب العمر
في ليلة القدر

وفي غبار الشارع
ينصب راس البائع
عينين من زجاج
عند الصباح الضائع
ومخلب المصانع يجمد النهار
ينسج اقداما من الحديد
تدوس هذا الانف من جديد

والفندق العتق
يدور في غباوة الطريق
كالزورق الغريق
عبر الممرات الخيالية
خلف شراع اصفر ثقيل
يجر في غينيه اغنية

عصام محفوظ

لم يفكر في وضع هدايا عيد الميلاد التي احضرها لانا في مستودع المحطة الا عند الظهر . لقد سر بهذه الفكرة لانها انقذته من ضرورة العودة الى المنزل فورا . فمنذ ان كفت انا عن محادثته اعتاد ان يتاخر في الرجوع وما ان يدخل الشقة حتى يسحقه صمت انا كانه صمت شاهدة من شواهد القبور . كان فيما مضى ، اي منذ عامين بعد زواجهما ، يشعر بسعادة في العودة الى المنزل . فكان يحب تناول الطعام مع انا، ومحادثتها ثم الذهاب الى الفراش . أما ما كان يوليه مزيدا من المحبة فكانت الفترة التي تنقضي بين ذهابه الى الفراش واستسلامه للنوم . كانت انا تنام قبله ، لانها كانت دائما تشعر بالتعب فكان يستريح في الظل الى جانبها ، ويسمع تنفسها ، وكانت اضواء السيارات تلقي احيانا من اعماق الشارع ضوءا على سقف الغرفة ينحدر حين تصل السيارات الى راس الشارع ، انها اضواء صفر واضحة ، تعكس خيال المراة النائمة على الحائط لحظات . ثم يعم الحجرة الظلام ولا تبقى الا الرسوم الدقيقة وحدها : تلك هي نسيج الستائر يرسمها على السقف ضوء بان النهار يفر منه ، وبانه يغوص في النعاس ببطء كانه يغوص في حوض من الماء .

مر مترددا امام شباك المستودع ، وراى صرته من خلف ، لا تزال في مكانها بين الجلد الاحمر والسكاكر، وكانت الرافعة المكشوفة التي تنحدر من الرصيف فارغة ، قد بيضها الثلج فكانت تغوص كالورقة في ارض الحجرة الرمادية، وتقدم الرجل الموكل بالعناية بها ، وقال للمستخدم :

– هذا هو عيد الميلاد حقا ، انه لمشهد جميل ان يتوفر للاولاد ثلج في العيد ، اليس كذلك ! فاوما المستخدم براسه وعلق بطاقة في مسمار دون ان يقول شيئا ، وعد الدراهم في درجه الخشبي ونظر بحذر الى جهة (برنيبج) الذي اخرج من جيبه وصل المستودع ثم لم يلبث ان طواه واعاده الى جيبه كانت تلك هي المرة الثالثة التي ياتي فيها الى هناك ، والمرة الثالثة يخرج الوصل ثم يعيده الى جيبه . كانت نظرات المستخدم المرتابة تضايقه، فاتجه ببطء وبخطى وئيدة نحو المخرج فتوقف ونظر الى الساحة الفارغة . كان يحب الثلج والبرد ، وكان ينتشي ، في طفولته ، باستنشاق الهواء البارد المضيء . رمى اذ ذاك لفافته وادار وجهه للهواء الذي يقذف المحطة بكثير من نديف الثلج الخفيف، وفتح برنيبج عينيه ، فقد كان يسر اما التحدق باهدابه نديف جديد من الثلج بينما يذوب الثلج السابق

ليلة الميلاد

للكاتب الالماني هنريخ بل

ترجمة جورج سالم

ويسيل قطرات على خديه . ومرت فتاة صغيرة قربه بسرعة فراى ان قبعتها الخضراء كانت مغطاة بالثلج حينما اجتازت الساحة راكضة . ولكنه لم يدرك انها تحمل في يدها الحقيبة الجلدية الصغيرة الحمراء التي كانت الى جانب صرته في صالة المستودع الا بعد ان توقفت امام محطة الترام .

فكر برنيبج في نفسه « يجب على المرء الا يتزوج . فمن عادة الناس ان يهنئوك بالزواج ويرسلوا اليك الازهار . ويحملوا الى منزلك

قصة

برقيات باسماء ، ثم يتركوك وحيدا. وانهم ليتساءلون اتراه فكر في شيء في ادوات المطبخ من المملحة حتى الشواة ، واخيرا يتاكدون من ان زجاجة التوابل في مكانها من الخزانة . بل انهم ليحسبون هل يستطيع هذا ان يعيل اسرة . ولكن ما من احد يقول لك ما معنى ان تكون الاسرة . انهم يرسلون اليك عشرات الباقات من الازهار ، ولكن لها رائحة كالرائحة التي يشمها المرء بعد الدفن ، ثم يحطمون صحنا امام المنزل ويتركونك وحيدا؟

مر بالقرب منه رجل فادرك انه سكران وانه يغني « لقد ولد الطفل الالهي . . . » ولكن برنيبج لم يدر راسه ، ولم يلحظ الا بعد فترة ان الرجل كان يحمل في يده اليمنى سكاكر ، وهكذا ادرك ان الصرة التي تضم هدايا الميلاد والتي اشتراها لانا قد بقيت وحدها على اعلى رف في صالة المستودع . كانت الصرة تحتوي على مظلة وكتابين وبيانو كبير من الشكولا ، صنعت اصابعه البيض من الحلوى ، واصابعه السود من البسكويت . كان البيانو المصنوع من الشكولا كبيرا في حجم معجم، ولقد قالت البائعة ان الشكولا فيه يمكن الاحتفاظ بها لمدة ستة اشهر .

وفكر في نفسه « قد اكون بكرت في الزواج ، وربما كان علي أن انتظر حتى تغدو انا اقل رصانة واغدو انا اكثر رزانة . » ولكنه كان يعلم حق العلم انه كان على قدر من الرزانة كاف وان رصانة انا كانت كما يجب . كان يحبها لهذا السبب . ومن اجل محبته لتلك الساعة التي تسبق النوم ترك السينما والرقص، واهمل عددا من المواعيد . وفي المساء كانت تستولي عليه ، اذ يكون مضجعا في فراشه ، الشفقة والهدوء ، فيشرع انذاك بتكرار الجملة التي يعرف نصها بالتدقيق : « وخلق الله الارض والقمر وجعل فيهما الليل والنهار ، وفصل النور عن

الظلمة ورأى الله ان ذلك حسن ، وكان صباح وكان مساء .» وصمم على ان يعيد قراءة هذه الجملة بدقة في الكتاب المقدس الموجود بين كتب انا ، ولكنه كان ينسى ذلك دائما . وكان يبدو له ان خلق الله النهار والليل ، لا يقل جمالا عن خلقه الازهار والحيوانات والانسان .

كان يحب هذه الساعة التي تسبق النوم ويفضلها على كل شيء . ولكن منذ ان كفت انا عن محادثته راح صمتها يثقل عليه كانه حمل ثقيل . فلو انها قالت « الطقس بارد » او « ستمطر السماء ... » لشعر بانه انقذ ، بل لو انها قالت « نعم ، نعم » او « لا ، لا » او اي شيء اخر اكثر بلادة من هذا لاصبح سعيداً ولما كان تفكيره بالعودة الى المنزل يخيفه ابداً ، ولكن وجهها كان منذ مدة طويلة اشبه شيء بالحجر . وشعر في هذه اللحظات فجاة بالمظهر الذي ستبدو فيه حين تغدو عجوزاً فخافـ، ورأى نفسه يقفز بخطوة واحدة في المستقبل ، وكانه يقفز في سهل من الحجارة . ورأى نفسه ايضا شيخا له وجه كوجه الرجال الذين يعرفهم . وجه جعدته المرارة وشنجه الالم الكظيم وصبغه الغيظ حتى ارنبته صبغا خفيفا . ان هؤلاء لاقنعة مزروعة في الحياة اليومية كانهم رؤوس الموتى ..

وفي مرات اخرى ، كانت تتراءى له انا بهيئتها يوم كانت فتاة صغيرة ، مع انه لم يعرفها الا منذ سنوات ثلاث . كان يتخيلها : وهي فتاة في العاشرة من عمرها ، تحلم فوق كتاب على ضوء المصباح ، رزينة ، وعيناها قاتمتان تحت حواجبها المضيئة تطرف بعينيها في الكتاب وفمها مفتوح .. وكان وجه انا غالبا ما يتحول ، اما جلس امامها يتناول الطعام ، كما تتحول تلك الصور التي تتبدل اشكالها اذا حركها الانسان . وكان يعرف فجاة انها حين كانت فتاة صغيرة كانت تجلس مثل هذه الجلسة وانها كانت تقسم البطاطا بعناية الى قطع صغيرة بشوكتها ، وتضع المرق فوقها ببطء ..

كاد الثلج المتساقط يلصق اهدابه ، ولكن كان لا يزال في استطاعته ان يتعرف الى الحافلة رقم ٤ التي كانت تقترب متمهلة ، وهي تزحف كالمزلجة فوق الثلج .

فكر في نفسه « ربما كان علي ان احادثها بالهاتف ، فاطلبها في بيت (منديز) وينبغي انذاك ان ترد علي ، فتتلاشى رقية صمتها . »

وجاءت الحافلة رقم ٧ بعد الحافلة رقم ٤ تواً وهي اخر حافلة في هذا المساء . ولكنه اخذ يشعر بالبرد الان . فاجتاز الساحة ببطء ورأى من بعيد الحافلة رقم ٧ الاخيرة مضاءة باللون الازرق . فوقف مترددا امام غرفة الهاتف ونظر الى واجهة زجاجية لاحد المحلات فرأى المنضدين يستبدلون الابنويل والملائكة بغيرها من تماثيل العرض : سيدات عاريات الاعناق ، كانت اكتافها العارية مزروعة بالاوراق الصغيرة وقبعاتها مربوطة بالاحجار الكريمة . وكان هناك تماثيل تمثل مرافقي تلك السيدات ذات شعور شائبة قد وضعت على نحو سريع فوق مناضد الملاهي ، وسكبت على الارض سدادات زجاجات الشمبانيا ؟

لقد انتزعت الاجنحة والاربطة عن التمثال ، ودهش برنيج لهذه السرعة التي تم بها تحويل الملاك الى ساقي . شاربان وشعر اسود مستعار ، كما علقت على الحائط هذه الجملة بمهارة : « سهرة بدون شمبانيا ! »

كانت ليلة العيد هنا قد انتهت قبل ان تبدا . وفكر برنينج « لعل انا لا تزال الى الان صغيرة جدا . » فلم تكن قد تجاوزت الحادية والعشرين وبينما كان يتامل صورته في الواجهة راى ان الثلج يغطي شعره باكليل صغير ، كما راى ذلك من قبل على انصاب الاسيجة . وخطر له ان الشيوخ يخطئون حين يتحدثون عن بهجة الشباب : فحين يكون المرء شابا فان كل شيء يكون خطيرا وصعبا . وليس هناك انسان يساعدك وعجب فجاة من انه لا يكره انا بسبب صمتها ، وانه لا يتمنى أن يكون قد تزوج من غيرها ، وان كل المفردات التي علمونا اياها غير ذات قيمة : العفو ، والطلاق ، والبدء من جديد . فالزمان يداري كل شيء ، وهذه الكلمات كلها لا تفيدنا في شيء . وعلى المرء ان يتخلص من مشاكله بنفسه لان كل انسان يختلف عن سواه ، ولان انا امراة تختلف عن نساء الاخرين .

علق المنضدون اقنعة على الجدران بسرعة . ورصفوا وريقات براقة على شريط . كانت الحافلة رقم ٧ قد مضت منذ زمن بعيد . اما انا فلا تزال في مكانها من الرف .

وفكر في نفسه : انني في الخامسة والعشرين من عمري ، وهاءنذا يجب ان اعاقب بقوة من اجل اكذوبة صغيرة ، اكذوبة حمقاء يرتكب الاف الناس مثلها كل اسبوع او كل شهر . وكما وجب ان اعاقب من اجل اكذوبة وجب كذلك ان ارى في المستقبل الحجري انا وقد جلست القرفصاء على شكل ابي الهول امام صحراء الحجارة هذه وان ارى نفسي انا ايضا ، على شكل رجل مسن ، اصفر لونه من المرارة .

لا شك ان زجاجة التوابل ستبقى دائما في الخزانة ، والمملحة في محلها كذلك . وسيكون هو قد اصبح منذ زمن بعيد رئيس العمل ، فيستطيع ان يعيد اسرته على نحو ممتاز : اي ان يبذل جهودا صخرية ، ولن يستريح في فراشه ابد الدهر ، لن يستريح ابدا خلال هذه الساعة التي تسبق النوم . ولن يحمد خلق السماء ، ولن يشكر الخالق ساعة الراحة العظيمة ، وسيرسل الى الشباب ، بمناسبة زواجهم ، برقيات بليدة كالبرقيات التي وصلته ...

كان للنساء الاخريات ان يضحكن

من اكذوبة حمقاء حول موضوع مرتبه ،ان النساء الاخريات يعرفن ان كل الازواج يكذبون على زوجاتهن ، ولعل هذا نوع جديد من رد الفعل الطبيعي في الدفاع الشرعي ضد الاكاذيب التي تختلقها النساء . ولكن وجه انا كان قد غدا من حجر . كان هناك ايضا كتب عن الزواج ، وقد قرا فيها ما يمكن ان يفعله المرء اذا ما تعذر عليه امر من امور البيت والعناية به ، ولكن لم يكن هناك اي شيء البتة في اي كتاب منها عن موضوع تحول المراة الى حجر . ان المرء ليجد في الكتب كيف يتجنب الاولاد ، وكيف يمتنع عن ذلك ، كما يجد كثيرا من الكلمات الكبيرة الجميلة ، اما الكلمات الرقيقة فلم تكن موجودة .

كان المنضدون قد انتهوا من عملهم فالجواهر علقت على خيوط بعيدة عن النظر . وراى في نهاية المخزن رجلا يختفي وقد تأبط ملاكين ، بينما كان رجل اخر لا يزال يفرغ حقيبة من الوريقات الملونة فوق اكتاف التماثيل العارية ويعيد تقويم اللوحة التي كتب فوقها « سهرة بدون شمبانيا ؟ »

نفض برنينج الثلج عن شعره واجتاز الساحة ثم اتجه نحو صالة المحطة ، وحين اخرج للمرة الرابعة بطاقة المستودع وبسطها ، ركض بسرعة كانه لا يريد ان يضيع ثانية . ولكن شباك المستودع كان مغلقا وقد علقت امام القضبان لوحة كتب عليها « يفتح مدة عشر دقائق قبل موعد قدوم القطار وبعد رحيله » ضحك برنينج ، ضحك للمرة الاولى منذ الظهر ، ونظر الى العلبة التي كانت تبدو على الرف من وراء القضبان كانها في سجن ، كانت مواعيد انطلاق القطارات معلقة الى جانب الشباك ، والقطار القادم لن يصل قبل ساعة . فكر في نفسه « لن اجد زهورا او قطعة من الشوكولا ، لن استطيع ان اجد شيئا حتى كتابا صغيرا كما ان القطار رقم ٧ كان قد مضى . »وفكر للمرة الاولى في حياته ان يستاجر سيارة فانتابه شعور بانه انسان كبير وانه كبير وانه في الوقت نفسه غبي ، وذلك حين اجتاز ساحة المحطة وهو يركض نحو موقف السيارات .

جلس على مقعد السيارة الخلفي وامسك دراهمه بيده : سبع ماركات وعشرة من مئة ، هي اخر ما تبقى عنده من مال كان ادخره ليشتري لانا شيئا اخر افضل ، ولكنه لم يجد شيئا افضل وها هو ذا يجلس الان والمال في يده ، يلاحظ العداد الذي كان على مدى مسافات قصيرة ــ لم تكن المسافات قصيرة جدا فيما بدا له ــ يضاعف كل مرة الاجرة بمبلغ قرش واحد ، وكلما قعقع العداد كانت قعقعته تصل الى قلبه ، مع انه لم يسجل الى الان الا مركين وثمانين من مئة . انه يعود الى منزله دون ازهار او هدايا ، جائعا ومتعبا ، بليدا . وخطر له انه قد كان يمكنه حتما ان يحصل على قطع من الشوكولا في صالة الانتظار .

كانت الشوارع خالية والسيارة تسير وهي لا تكاد تثير ضجة فوق الثلج ، واستطاع برنيج ان يرى اشجار عيد الميلاد تلتمع في المنازل خلف النوافذ المضاءة : انه عيد الميلاد . وبدا له ان كل ما كانت تعنيه هذه الكلمة بالنسبة اليه يوم كان طفلا ، وكل ما كان يشعر به في مثل هذا اليوم اضحى بعيدا جدا . اما ما كان هاما وذا قيمة فقد كان يظهر في التقويم على نحو طبيعي . وفي صحراء الحجارة يغدو عيد الميلاد كأي يوم اخر من ايام السنة كما يصبح عيد الفصح مشابها كيوم ماطر في نوفمبر : ثلاثون او اربعون تقويما انتزعت منها اوراقها ، وعمود الحديد مع قصاصات الورق الممزقة. هذا ما يتبقى للمرء اذا هو لم ياخذ حذره : هفوة لا يكاد يكون لها معنى ويتعثر المرء من جرائها عشرات السنين ...

شعر بخوف حين قال له السائق « لقد وصلنا » . ثم تعزى اذ راى العداد قد توقف على اربعة ماركات واربعين من مئة ، وانتظر بفارغ صبر ان يرد اليه السائق بقية الماركات الخمسة ، وشعر بخفة تجتاحه لما راى الضوء في الاعلى ، في الغرفة التي يحاذي فيها سريره سرير انا . وقطع على نفسه عهدا بالا ينسى لحظة العزاء هذه ، وحين اخرج من جيبه مفتاح المنزل ووضعه في القفل ، عاوده ذلك الشعور البليد الذي احس به اذ استقل السيارة : شعور بانه رجل وبانه في الوقت نفسه ساذج .

وكانت في المطبخ ، على الطاولة ، شجرة عيد الميلاد ، وكان ثمة هدايا له : جوارب ، وسكاير ، وقلم حبر جديد وتقويم جديد ملون يستطيع ان يعلقه في غرفته فوق طاولة عمله.

كان الحليب في اناء فوق الموقد ، ولم يكن عليه الا ان يشعل الغاز ، كما كان الخبز معدا في الصحن ، ولكنه كان كذلك كل مساء ، حتى منذ ان كفت انا عن محادثته ، وان تهيئة شجرة العيد واعداد الهدايا ، كانا واجبا كعملية دهن الخبز بالزبد ، وكانت انا تقوم دائما بواجبها ، لم يشعر برغبة في الحليب ، بل ان الخبز الشهي نفسه لم يغره ، ذهب الى الردهة وسرعان ما راى ان انا كانت قد اطفات النور . ولكن باب غرفة النوم كان مفتوحا ، فنادى بلطف ، دون كبير امل ، في المربع المظلم ، « آنا .. هل انت نائمة ؟ » هل كان لموسى كثير من الامل حين ضرب الصخرة بعصاه ليفجر منه الماء ؟ وانتظر طويلا فيما خيل اليه ، كان سؤاله يغوص ، دون نهاية في الاعماق . واحتوى الصمت القائم في المربع المظلم من باب غرفة النوم قدره الذي سيتحمله خلال ثلاثين او اربعين عاما . ولهذا فحين قالت آنا « لا » ظن انه اخطأ السمع ؟ فقد يكون ذلك خداعا ، وتابع كلامه بسرعة وبصوت عال : « لقد ارتكبت حماقة ، فقد وضعت في مستودع المحطة الهدايا التي اعددتها وحين اردت ان احضرها كان المستودع قد اغلق ، فلم اشا ان انتظر ، هل اخطات في ذلك ؟ »

دجلة والليل والقمر

امغناك في الليل تحت القمر ... ام اللحن رق بسحر السحر ؟
ام الموج قد كان في غفلة ... وايقظه قادم ، فانشطر
ام الصخر عذبه صمته ... فهب ليسمع صوتا اغر
ام الفجر طال ولما يزل ... بقايا ظلام على منحدر
وصوت حبيب يناجي حبيبا ... بهمس ، واحلامه تزدهر
ام العشب ايبسه زارع ... لقصد ، فثار يناجي المطر
امغناك يا سارحا في الهضاب ... تناهى بذكرى ليال غرر
تمزق حتى السكون الذي ... تمادى على كوخنا وانتظر
امغناك يا ابن سحاب الشمال ... أم الفجر يبدو ضعيف الاثر ؟

خريرك مثل الصبايا الحسان ... يداعبن في الليل حلو الوتر
فيهتز كتف ، ويبسم وجه ، ... ويمتص ريق جميل الثمر
ويرتجف الحب في نظرة ... ويهتز قلب ، ويسمو نظير
وظل الغصون على شاطئيك ... تدحرج في الموج كالمنهمر
اثار بقلبي حب الحياة ... وحب الوجود ، وحب السمر

فدتك القلوب ولما تزل ... تسير وتروي حقول الزهر
تغني الحياة بقلب رقيق ... وتستقبل الفجر انى ظهر
وبين شفاهك انشودة ... وترنيمة لهوى منتظر
وفي مقلتيك جمال الاصيل ... وفي جانحيك الهوى يستعر
وفي الجرف اغنية ثرة ... وفي وجنتيك بقايا سهر
ومغناك في الليل تحت القمر ... وفيك الربيع نما وازدهر!

العراق ـ الحلة

علي الحسيني

هذه المرة كان واثقا من انه سمعها جيداً تقول « لا » كما سمع ايضا ان « لا » هذه ، لا تأتي من زاوية الغرفة حيث اقيم سريراهما. كانت آنا قد ابعدت سريرها تحت النافذة علنا . قال : « هديتي هي مظلة وكتابان وبيانو صغير من الشوكولا ، ولكنه كبير بحجم معجم واصابعه مصنوعة من البسكوت »

وتوقف عن الكلام وهو ينتظر بفارغ صبر جوابا ، ولكن لم يأته اي جواب من المربع المظلم ؟ ومع ذلك فحين سألها : « هل يسرك ذلك ؟ » جاءه الجواب « نعم » باسرع من « لا » في المرتين السابقتين .

اطفأ النور وخلع ثيابه في الظلمة واضطجع في فراشه ، كان باستطاعته ان يرى من خلال الستائر اشجار عيد الميلاد في المنزل المواجه، وكان الناس في المنزل ، تحت ، يغنون اما هو فكان قد عثر على ساعته المفضلة ، فقد حصل على جوابين « لا » و « نعم » واحدة . وحين كانت تمر سيارة في الشارع كان مصباحها يبرز نجاة من الظلمة شكل آنا الجانبي ..

حلب — جورج سالم